وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي
مدرسة الدكتوراه لجامعة الجزائر2
فرع المدية

# الاستلزام الحواري في القرآن الكريم
# سورة "طه" نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير
تخصص علوم اللسان و تحليل الخطاب

إعداد الطالبة:
سعاد ميرود

السنة الجامعية: 2014-2015

**وزارة التعليم العالي و البحث العلمي**
**جامعة الدكتور يحي فارس**
**كلية الآداب و اللغات**
**قسم اللغة و الأدب العربي**
**مدرسة الدكتوراه لجامعة الجزائر2**
**فرع المدية**

# الاستلزام الحواري في القرآن الكريم
# سورة "طه" نموذجا

**مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير**
**تخصص علوم اللسان و تحليل الخطاب**

**إعداد الطالبة:**
**سعاد ميرود**

**إشراف الدكتور:**
**مفتاح بن عروس**

**لجنة المناقشة:**

| الاسم و اللقب | الدرجة العلمية | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|
| د. محمد زوقاي | أستاذ محاضر أ | جامعة المدية | رئيسا |
| د. مفتاح بن عروس | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجزائر 2 | مشرفا و مقررا |
| د. علي حميداتو | أستاذ محاضر أ | جامعة العفرون | عضوا مناقشا |

**السنة الجامعية: 2014-2015**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# إهـــــــداء

إلى روح أمي الطيبة الطاهرة، عسى الله أن يرحمها برحمته الواسعة و يكرمها بجنّـــات النعيــم...

إلى والدي الكريــم حفظه الله و رعاه...

إلى إخوتي الأعــزاء...

إلى زوجي الغــالي، أستــاذي و معيني...

إلى أولادي الأحباء: ريحان، محمد و عبد العليم

إلى أهل العلم كـــــافة...

أهدي عملي المتواضع هذا، عسى أن يتقبله الله بقبول حسن.

**شكر و عرفان.**

أشكر الله العلي القدير أن وفقني لإتمام هذا العمل و مناقشته، فالحمد لله حمدا كثيرا.
أتقدم بالشكر العظيم إلى أستاذي الدكتور مفتاح بن عروس على المجهودات الجبارة التي بذلها من أجل خروج هذا العمل إلى النور، بارك الله فيه و أدام عليه الصحة و العافية.

أشكر أساتذتي بجامعة المدية لتعاونهم و لإسدائهم النصح و الإرشاد طوال سنوات الليسانس و الماجستير و أخص منهم: الدكتور زوقاي ، ولدالي،العربي، شرفي، حميدي، بوجمالة

شكر خاص لكل من الدكتور خشاب و الدكتور بولمعالي، جزاهما الله كل خير.

# مقدمة

**مقدمة:**

كان لتحول وجهة الدراسات الفلسفية، من المنطق واللغة الاصطناعية إلى دراسة اللغات الطبيعية ضمن الاستعمال اليومي الفضل الكبير في نشأة علم جديد لم يكن أصحابه– من مدرسة أكسفورد للفلسفة التحليلية كفتجنشتين، ورسل، وأوستين وستروسن...– يقصدون به سوى إنشاء فرع جديد للفلسفة، ألا وهو "فلسفة اللغة الطبيعية"، فظهرت إثر ذلك التداولية لدراسة اللغة على غير ما عرف وساد في ذلك الزمان (منتصف ق 20)، فبعد أن كان الدارسون ينظرون إلى لغة نظرة لسانية بحتة (صوتية، صرفية، نحوية) ويدرسون علاقة الوحدات اللغوية للجملة الواحدة بعضها ببعض، أصبح الخطاب مجال اهتمامهم ضمن العملية التواصلية في سياق محدد، آخذين بعين الاعتبار– إضافة إلى الرسالة– منشئيها ومتلقيها، الأمر الذي أفضى إلى استحالة الإبقاء على علم الدلالة وحده لحل المشكلات المطروحة حول المعنى وضرورة الأخذ بالمقومات التي تحيط بالاستعمال اللغوي، وأصبحت اللغة لا تصف الواقع فقط وإنما تقوم بوظائف أخرى بحسب مقاصد المتكلمين.

وفي هذا الشأن اهتم **بول هربرت غرايس (Paul Herbert Grice)** –أيّما اهتمام –بالقصد، لأنه مدار التواصل وهدف المتكلم ومبلغ المتلقي وقوام الفهم وضمان لنجاح التواصل واستمراره، ليجد أن الكلام لا يُؤخذ دائما بظاهره، فكثيرا ما يعمد المتحاورون إلى استعمال معان ضمنية تتناسب والمقام الذي أنجزت فيه.

واشتغل غرايس في إطار الطرح السابق على تلك الظاهرة المميزة للغات الطبيعية والممثلة لإحدى خصائصها الأساسية، حيث أطلق عليها مصطلح "الاستلزام الحواري" (Implicature conversationnelle) ليجد أن العبارة لا تُحدَّد فقط بما يدل عليه تركيبها وإنما تدخل في عملية تأويلها عناصر السياق ومقام الإنجاز وكل ما يحيط بالخطاب من ظروف تساعد على الاستدلال على المعنى المراد.

ومن أجل ضبط ظاهرة الاستلزام الحواري، وضع غرايس قواعد للتحاور يؤدي خرق إحداها إلى خلق المعنى المستلزَم. فإذا كان الاستلزام كما قلنا صفة لصيقة باللغات الطبيعية، فإنا نفترض حضورها في الحوار القرآني، فكيف يمكن أن نصل إلى فهم المعاني المستلزمة في الحوار القرآني؟ وما تأثيرها في الخطاب القرآني ككل؟ وإلى أي مدى يمكن تطبيق عملية الاستدلال عند غرايس في النص القرآني؟ وهل يمكن اعتماد نظريته لدراسة الحوار في القرآن الكريم دون المساس بقداسته؟

إن اختيارنا لدراسة الاستلزام الحواري يرجع إلى كونها قضية تداولية مهمة تتعلق بعملية التواصل وشروط نجاحه، ونريد بذلك مواكبة الدراسات اللغوية التي تتوجه نحو الدراسات التداولية، هادفين بذلك إلى تحليل الظاهرة وكيفية حدوثها وكذا كيفية الاستدلال عليها للوصول إلى المعنى المقصود في الخطاب القرآني بصفة خاصة.

ولئن كان التركيز في بحثنا على الاستلزام الحواري عند غرايس، إلا أن حضور الظاهرة عند العرب القدامى وعيا وتحليلا يحتم علينا الإشارة إلى بعض جهود الباحثين العرب في البلاغة وأصول الفقه، هذا من أجل التعرف إلى ما انتهت إليه الدراسات العربية القديمة من نتائج، وما سجلته من ملاحظات تضاهي أحيانا تلك التي توصل إليها الفكر اللساني الحديث.

ومن أجل تحقيق الأهداف المتوخاة، وللإجابة عن التساؤلات التي طرحناها، قسمنا بحثنا هذا إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة:

نتناول في المدخل بعض المفاهيم الأساسية التي تشكل مدار البحث كالحوار وقضية المعنى والاستدلال عند العرب والغرب.

أما الفصل الأول فنتحدث فيه عن الوعي العربي بظاهرة الاستلزام الحواري في أنموذجين: موذج أبي يعقوب السكاكي في علمي المعاني (الخبر والطلب) والبيان (الملازمات بين المعاني)، و موذج أبي حامد الغزالي في الأحكام المتعلقة بالأمر والنهي

وخروجها إلى أغراض ومعان فرعية، وهذا للتدليل على أسبقية الباحثين العرب في تنبيههم على وجود الظاهرة في اللغة وأخذها بالتحليل والدراسة.

وأما الفصل الثاني فنقدم فيه عرضاً مفصلاً لنظرية الاستلزام الحواري عند صاحبها غرايس من خلال مقاله "المنطق و المحادثة" (Logique et conversation)، مستهلين الفصل بالمفاهيم الأساسية في النظرية وهي: مفهوم الدلالة غير الطبيعية وتمييزه بين الجملة والقول والاستدلال غير البرهاني، والتي ميزت دراسته. نعرج بعدها للحديث عن مبدأ الحوار العام: مبدأ التعاون وقواعد الحوار الأربعة (الكم، الكيف، الكيفية والمناسبة) والتي اعتبرها غرايس ضابطة لكل حواراتنا ويؤدي الخروج عن إحداها إلى الاستلزام الحواري الذي نفصّل في أنواعه وكيفية حدوثه وكذا تأويله.

وبما أن مقاربة غرايس تتقاطع مع مقاربة سيرل في الأعمال اللغوية غير المباشرة، فإنا سنقوم بمقارنة بينهما من أجل معرفة الفرق بين رؤية كل من الباحثين للظاهرة، ونختم الفصل ببعض النقود وتطوير النظرية من قبل سبربر وولسون إلى ما أسموه بنظرية الحصافة/الملاءمة (La théorie de la pertinence)، وذلك للتعرف إلى ما وصلت إليه الدراسات بعد تلك التي أثارها غرايس.

ونخصص الفصل الثالث لرصد الظاهرة في القرآن الكريم في النموذج الذي اخترناه "سورة طه" لمعرفة المعاني الضمنية للآيات الشريفة الحاملة للحوار.

ونظرا لطبيعة الموضوع المدروس، فإنا اخترنا المنهج التداولي، واتخذنا بعضا من آلياته لتحليل المدونة منها، نوع العلاقة بين أطراف العملية التخاطبية، وظروف الخطاب كالسياق الحالي إضافة إلى السياق القولي مستعينين في ذلك بجملة من المصادر والمراجع كان أهمها على الإطلاق ما خدم الموضوع بصفة مباشرة كمقال غرايس "المنطق والمحادثة" (logique et conversation ) ، وكتاب مارتين براكوبس (Martine Bracops) "Introduction à la pragmatique " ومعجم المصطلحات التداولية لجاك موشلار وآن ربول (Dictionnaire Encyclopédique

(de la pragmatique، وكتب التفسير أهمها، "التحرير والتنوير" للطـاهر بن عاشـور و "الكشاف" للزمخشري، إضافة إلى كتب أخرى لـ أحمد المتوكل "اللسانيات الوظيفية" وكتابي طه عبد الرحمن "اللسان والميزان" و "أصول الحوار وعلم الكلام".

و لئن كانت الدراسات النظرية في الاستلزام الحواري قليلة ومختصرة جدا، فإنها في الجانب التطبيقي تكاد تكون منعدمة، فلم نحصل – حسب اطلاعنا – على دراسة مفصلة للموضوع تكون لنا نموذجا، وكل ما وجدناه كان عبارة عن أمثلة مبتورة سواء في المراجع العربية أو الأجنبية مما صعب مهمة التحليل لدينا خاصة فيما يخص التعامل مع المدونة، نضيف إلى ذلك بعض الصعوبات المتعلقة بالترجمة نظرا لتضارب بعض المصطلحات في اللغة العربية وكثرتها، بالإضافة إلى عدم إمكانية استعمالها كما هي مع القرآن الكريم كمصطلحي: خرق واحترام المبادئ و قد اضطررنا إلى تغييرهما تأدبا مع القرآن العظيم.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العظيم للأستاذ المشرف الدكتور "مفتاح بن عروس"، الذي لم يدّخر جهدا ولا وقتا لمساعدتنا بالاهتمام الكبير، والتوجيهات الثمينة والمراجع المهمة، فجزاه الله خير الجزاء وله ألف كلمة شكر وعرفان.

كما لا ننسى أن نشكر جميع أساتذتنا الذين فتحوا لنا باب المعرفة والبحث، وأخص بالشكر الدكتور "زوقاي" الذي أحاطنا بعنايته ويسر لنا الدخول إلى أي مكتبة جامعية كانت بغية الاستفادة من الكتب التي نحتاج.

وإننا إذ نتقدم بهذه الدراسة، نرجو بها وجه الله تعالى وخدمة البحث العلمي، فإن أصبنا فبفضل من الله وتوفيقه، وإن أخطأنا فرجاؤنا نيل أجر الاجتهاد. والله ولي التوفيق.

# مدخل

**مدخل:**

كـــان التواصـــل و لا يـــزال مـجال اهتمـــام الدارسين فـي مخـتـلف العلوم و التخصصات ( اللغة، علم الجتماع، علم النفس، علم النفس المعرفي...) لارتباطه بالحياة الاجتماعية للإنسان، و لأجل التفاهم كذلك. و اعتُبرت اللغة الوسيلة الأفضل لتحقيق هذا التواصل. و الحديث عن التواصل اللغوي يحيلنا مباشرة إلى الحوار و كل ما يتعلق به من قضايا كالمعنى و ما يؤثر فيه كالسياق و المقام والعلاقة بين المتحاورين، و كيفية الاستدلال عليه، و من أجل هذا تمثل قضايا المعنى و الاستدلال الأساس الذي سيدور عليه هذا البحث، لذا سنحاول أن نعـرّف كلا منـها و نقدم نبذة عن الدراسات التي اهتمت بها.

**1-الحوار:** هو عملية تبادل معلومات بين طرفين على الأقل حول موضوع معين، وهو شكل من أشكال التواصل[1]( كالتواصل الإشاري في السيميائية).

و الحوار في معناه العام يطلب الإقناع بقضية ما، و في معناه الخاص كل خطاب يتوخى تجاوب مخاطَب معين، و يأخذ رده بعين الاعتبار من أجل تكوين موقف في نقطة غير معينة سلفا بين المتحاورين[2].

و الحوار يحمل مقاصد المتكلمين و تأويل المتخاطبين للأقوال التي قد تأتي صريحة، أو ترد ضمنية و تتطلب الاستدلال للوصول إلى فهم معانيها.

كما يحمل الحوار أيضا أهداف المتحاورين الذين يرمون إلى التأثير في الآخرين، إمّا بتأكيد شـــيء ما أو نـفيه أو تغييـره على الإطـلاق(حسب نظرية الحصافة لسبربر و ولسن).

[1] Wikipedia, Free encyclopedia.

[2] عمران قدور،،البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2012 ، ص180.

## 2-المعنى:

يُعتبر المعنى قضية هامة في الدراسات اللغوية و الفلسفية و المنطقية، العربية منها و الغربية، و يشكل موضوعا بالغ التعقيد و الصعوبة، و هذا ما أدى إلى نشأة العديد من النظريات التي تهتم بدراسته. فمنذ بداية القرن 20 م كان الفلاسفة التحليليّون يحاولون الإجابة على أسئلة من قبيل: كيف يتعلم الطفل معاني الكلمات؟ ما العلاقة بين اللفظ و المعنى؟ هل للكلمة معنى واحد أم عدة معان؟ و ماذا عن دور الاستعمال في تحديد معنى الكلمات و العبارات؟ إلى غير ذلك من الأسئلة في هذا السياق.

وقد حاول **جورج مور** (George Moore) تحليل تصورات و قضايا عن طريق تحليل ألفاظ و عبارات في اللغة العادية لتحديد معناها و مقارنتها بمفاهيم الفلاسفة، حيث أن التحليل اللغوي لم يكن هدفا في حد ذاته، و إنما كان "للدفاع عن المعتقدات الراسخة(commun sense) للرجل العادي، ويبين أنها صادقة يقينا (وهي خاصة إدراكه للعالم الخارجي الذي يعتبر إدراكا صحيحا على عكس ما كان سائدا آنذاك في الفلسفة (le scepticisme) من أن الإدراك نسبي)"[3]. ومن ثَمّ فإنه يرى أن أي نظرية فلسفية تتعارض مع تلك المعتقدات محكوم عليها بالرفض.

و كان **مور** ينطلق في تحليله من افتراض أساسي يسلم بصدقه مفاده أن الكلمة تحمل معنى واحدا محدّدا، أو لها عدة معان حسب الاستخدامات يجب إحصاؤها لمعرفة العنصر المشترك بينها[4]، غير أنه أدرك صعوبة إيجاد العناصر المشتركة بين المعاني المختلفة وبقيت قضية المعنى عنده غامضة.

و ظهر **فتجنشتين** (Ludwig Wittgenstein) ثائرا على بعض مواقف النظرية السابقة كأن يكون للكلمة معنى ثابت، و تجنب البحث في الجانب المنطقي الصارم في تصور المعنى بعدما لاحظ الطريق المسدود الذي وصل إليه **مور**.

[3] محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، الاسكندرية، 1984، ص 99.

[4] نفسه، ص 100.

حيث" كان يرى بأن اللغة لعبة (jeu de langage)"[5] ويقصد أن اللغة ليست حسابا منطقيا دقيقا بحيث يكون لكل كلمة و لكل جملة معنى محدد، و إنما تتعدد معاني الكلمات بتعدد استخداماتها في اللغة العادية، وتتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياقات التي تذكر فيها[6]، تماما مثل أدوات النجار، التي لا تستخدم لغرض واحد فقط ، و إنما لاستعمالات مختلفة حسب الظروف و الحاجات.

كما اهتم **غوتلب فريجه** (Gottlob Frege) كذلك بدراسة المعنى في سياق بحثه في موضوع اللغة، معتمدا على افتراض أساسي مفاده أنه " يجب أن يكون لكل كلمة أو تعبير معنى محدد دقيق في اللغة الدقيقة ويقصد بها اللغة الكاملة"[7] أو اللغة المثالية و الاصطناعية، و كان يدعو إلى محاولة إنشاء هذه اللغة لأن اللغات الطبيعية لا تحقق هذه الدقة، و من ثمّ يكون للكلـمة الواحدة فيها معنى واحـد في سيـاق واحـد، و يبدأ بتمييز حاسم بين اسم العلم ومعناه من جهة، وإشارته أو مسماه من جهة أخرى، فأ**رسطو** مثلا اسم علم يشير إلى شخص معين هو مسماه، لكن لهذا الاسم معنى يتميز عن مسماه.

غير أنه لا يمكن تطبيق هذا على كل أصناف الكلام، فهناك كلمات لا تملك مراجع ملائمة كالأفعال و الحروف و أدوات الربط وغيرها[8]، كما أنه قد يكون لعبارتين مرجع واحد كـقولنا "**نجم الصباح**" و "**نجم المسـاء**"، إذ تـدلان على الكوكـب نفسـه لكـنهما لا تدلان على المعنى نفسه، "وقد تكون العبارة ذات معنى، صادقة أو كاذبة، دون إحالة محددة"[9] كقولنا: " **ملك فرنسا أصلع**" لا يوجد ما تحيل إليه كلمة ملك فرنسا.

---

[5] محمود فهمي زيدان ، سابق ،ص 106.

[6] محمد عزيز نظمي سالم، المنطق الصوري، دراسة تحليلية لنظرية القياس وفلسفة اللغة، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 2002، ص 275.

[7] محمود فهمي زيدان، نفسه، ص 115.

[8] محمد صابر الحباشة، تحليل المعنى ، مقاربات في علم الدلالة، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 31.

[9] نفسه، ص 32.

و هناك نظرية أخرى اهتم أصحابها بوضع معيار لتحديد معاني الكلمات و القضايا بوجه عام، و القضايا التجريبية وصيغ القوانين العلمية بوجه خاص، إنها نظرية **جماعة فيينا**، ( نخبة من الفلاسفة و المناطقة و علماء الطبيعة و الرياضيات، جمـعهم اتجاه تجريـبي واحـد ، رائدها **شليـك** Schlik وزمـلاؤه: **كارناب**( Carnap ) و **فيجل**( Feigl) و **هامبل** (Hempel) و **وايزمان** (Waisman)) التي أطلقت على نظرية المعنى اسم "نظرية إمكانية التحقيق التجريبي" و التي تقول : " إن معنى قضية ما هو طريق تحقيقها"[10] و المقصود هنا بالقضية هو ما يمكن إخضاعها لتحقيق تجريبي، فتصبح بذلك صادقة أو كاذبة، غير أن هذه النظرية تعرضت للنقد من قبل أفراد الجماعة أنفسهم.

إن الدراسات الفلسفية لمشكل المعنى خلصت إلى صعوبة أو حتى استحالة إقامة معيار دقيق لتحديد معاني الكلمات و الجمل، لذلك "ظهرت الدراسات اللسانية الحديثة محدثة قطيعة مع الفلسفة"[11]، و في هذا الشأن، ربط **دوسوسير** رائد اللسانيات البنوية مفهوم المعنى بمفهوم العلامة، فجعل العلامة اللغوية تحمل وجهين: الدال و هو الصورة الصوتية للكلمة، و المدلول وهو المفهوم الموافق لها و الذي ينتمي إلى الرصيد الذهني للجماعة اللغوية و تكون العلاقة بينهما اعتباطية[12].

ومع أن الفلاسفة التحليليين اهتموا كثيرا بقضية المعنى (في بداية ومنتصف القرن 20م) من أمثال **أوستن وسيرل و ستروسن و كواين**... غير أننا وجدنا **غرايس** أكثر الفلاسفة اهتماما بالمعنى، كيف لا وهو القائل: " لقد سبب لي (أي المعنى) كثيرا من القلق و أحدث أيضا توقدا أكثر من أي جانب آخر[13].

[10] محمود فهمي زيدان، سابق، ص 125.

[11] محمد صابر الحباشة، سابق، ص 38.

[12] Ferdinand de Saussure : cours de linguistique générale, présenté par Dalila Morsly-ENAG edition, Alger, 3eme ed, 2004, p 108-110.

[13] Herbert.Paul Grice :Sudies in the way of words,Combridge,Massachusettes : Harvard university Press, 4th ed, 1995, p 349.

كان **غرايس** كما هو معروف، واحدا من فلاسفة مدرسة أكسفورد المهتمين بدراسة المعنى في اللغة العادية، و كانت فلسفته تدور حول فكرة "المعنى هو الاستعمال"[14]، أي أن المعنى يتحدد عن طريق الاستعمال، وكانت أولى محاولاته لبيان ما يكون المعنى في مقالته "المعنى"، "**Meaning**"[15]، ودراسة التعبير في حدود ما يفعله المتكلمون بهذا التعبير في مناسبات معينة.

و قد حاول **غرايس** الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بمفهوم المعنى، أهمها: ماهو معنى الجملة؟ و ما هو المعنى لدى المتكلم؟

إن معنى الجملة هو ما تعنيه بصورة حرفية (معنى التركيب)، فالجملة "**زيد رئيس قسم نشيط**" تعني ما تقوله الجملة تركيبا، وكان **فريجه** في مثل هذه الحالة يقول إن هذه الجملة **(زيد رئيس قسم نشيط)** صادقة إذا وفقط إذا كان زيد فعلا رئيس قسم نشيط.

فإذا كنتُ أتحدث مع زائر للقسم و سألني عن زميلي زيد إن كان أستاذا متمكنا، وكان ردّي: "**زيد رئيس قسم نشيط**"، فأنا بالتأكيد لا أقصد معناها الحرفي الدقيق، و إنما أقصد شيئا آخر، كأن يكون: زيد أستاذ تنقصه الجدية في العمل، وهنا ننقل الحديث من المعنى المباشر أو ما تعنيه كلمات الجملة مجتمعة إلى مقاصد المتكلم.

وهنا يحسن التحدث عن العلاقة بين معنى الجملة و المعنى لدى المتكلم. و يرى **فريجه** أن تفسير معنى الجملة بالاعتماد على شروط الحقيقة (Conditions de vérité) يأتي في المقام الأول ثم يأتي تفسير المعنى لدى المتكلم، و"لكن **غرايس** يرى

[14] صلاح اسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 20.

[15] إضافة إلى نظرية الاستلزام الحواري، كتب غرايس عن نظريته في المعنى سنة 1948 و لم ينشر المقال حتى عام 1959 و ذلك بتشجيع من زميله ستروسن( P.F. Strawson) ، و قام بتطوير نظريته هذه فيما بعد في محاضرات وليام جيمس الخامسة و السادسة تحت عنوان، "معنى الكلمة" و "معنى الجملة" و "المعنى عند المتكلم" ، سنتي 1969 و 1968 ليتم بعدها جمعها مع المحاضرات الأخرى في كتاب بعنوان " Studies in the way of words" بعد وفاته سنة 1989.

أن طريقة **فريجه** تقلب الأمور رأسا على عقب، و أن الصواب هو تفسير معنى الجملة يأتي في حدود المعنى لدى المتكلم"[16] أي ما يقصده المتكلم.

ولقد شكلت هذه القضية محل نقاش بين الفلاسفة الذين انقسموا بدورهم إلى جماعتين: جماعة تنتصر للشكل كمحدد للمعنى **(فريجه، تشومسكي...)** على أساس أن الجملة هي الحامل الأساسي للمعنى، ومعنى الجملة إنما يتحدد عن طريق معنى عناصرها المكونة لها.

و الجماعة الثانية ترجح الاستعمال كعامل أساسي للتوصل إلى المعنى[17]، وهذا الاتجاه الأخير أدى إلى التحول من اللغة الصورية المنطقية إلى اللغة الطبيعية.

ولأن **غرايس** لا ينتمي إلى أحد من هذين الاتجاهين ولأهمية الموضوع، ميز بين المعنى الطبيعي و المعنى غير الطبيعي في مقاله "Meaning" سنة 1957، وكذلك في مقاله "Logique et conversation" سنة1975، ليبرهن عبر التحليل أن هناك معنى يتميز عن المعنى الطبيعي (الدخان يدل على النار)، وعن المعنى اللغوي العرفي و الذي كثيرا ما يرتبط بمناسبة معينة للنطق و بقصد المتكلم. وهناك إجماع بين الفلاسفة وتواتر في الدرس الفلسفي المعاصر على أن **غرايس** هو أول من قدم دراسة منهجية تعالج الاختلاف بين المعنى لدى المتكلم ومعنى الجملة، مبتكرا مصطلح الاستلزام (implicature) في مقابل مصطلح اللزوم في المنطق (implication) (كلزوم علاقة بين أجزاء قضية شرطية صادقة) مبيناً أنواعه، حيث ركز على الاستلزام الحواري و الذي يعني به قول جملة ما يلزم عنها قول شيء آخر، ولكنه ليس بالمعنى المنطقي. فالاستلزام لا تقرره الجملة تقريرا واضحا ولكنها توحي به فقط مثلما هو موضح في المثال الآتي:

[16] صلاح اسماعيل، سابق، ص 20.

[17] voir Grice:Logic and conversation, in Cole peter and Morgan Jerry,1ed : speech acts, in Syntax and Semantics.vol 3, New York, Academic press, 1975, p41.

* سيأتي شرح المعنى الطبيعي و المعنى غير الطبيعي في الفصل الثاني.

(أ) **هل تذهب إلى حديقة الحيوانات؟**

(ب) **يتعين علي أن أراجع دروسي.**

إن جواب (ب) يعني أنه لا يستطيع الذهاب إلى الحديقة، وهذا المعنى يتجاوز المعنى الظاهر في الجملة "يتعين عليّ أن أراجع دروسي"، فعدل عن التصريح إلى التلميح.

إن نظرية غرايس في المعنى المستلزَم حواريا فتحت بابا جديدا لتفسير المعنى بعيدا عن شروط الحقيقة و مطابقة الواقع، اعتمادا على ضرب من الفاعلية العقلية و التعاونية و التقارب بين أغراض المتخاطبين، التي تهدف إلى تحقيق التواصل بين الناس، ويتجلى هذا التعاون في مبدإ عام أطلق عليه **غرايس** اسم "مبدأ التعاون" **principe de coopération** والذي تتفرع عنه أربعة قواعد جرياً على طريقة كانت " ***kant*** " (1724-1804) و هي: الكم، الكيف، الكيفية و المناسبة[18].

بالإضافة إلى مبدأ التعاون و القواعد الحوارية الأربعة، تبنىّ **غرايس** مبدأ منهجيا أساسيا بخصوص المعنى سماه نصل أوكام المعدّل [19] **(Le principe de rasoir d'Ockham modifié)** مفاده: " يجب عدم مضاعفة المعاني أكثر من الحاجة"[20]

**"Senses are not to be multiplied beyond necessity"**

يقضي هذا المبدأ أن تغير الدلالات غير مرتبط بالنظام اللساني و لكنها مسألة استعمال، ويهدف هذا المبدأ إلى "إسناد الحد الأدنى من المعاني إلى العبارات و التوجه تداوليا نحو قاعدة حوارية لإعطاء العبارة الهدف معناها في الاستعمال و نسمي هذه الدلالة بالاستلزام"[21]. فواو العطف عند "**غرايس**" مثلا تملك دلالة أولى هي الاشتراك في

[18] voir Grice: Studies in the way of words,p 23.

[19] جاء غرايس بمبدأ الاقتصاد الدلالي تعديلا لمبدأ الاقتصاد الأنطلوجي عند وليام أوكام (william Ockham . 1285-1347) و المعروف باسم نصل أوكام "Ockham razor". الذي يقول: لا يجب مضاعفة الكائنات من غير ضرورة.

[20]Ibid,p 47.

[21] Jacques Moeschler, Antoine Auchlin : Introduction à la linguistique contemporaine, Armand Colin/HER, Paris, 2 eme ed, 2000,P166.

الصدق وتعتبر معانيها الأخرى مثل الترتيب و العلاقة السببية استلزاما أَوْلى من كونها معاني.

وتتغير هذه الاستلزامات بتغير الاستعمال، وكما أنه لا يجب مضاعفة المعاني لا يجب أيضا مضاعفة الاستلزام من غير ضرورة، وحسب **غرايس** فإنه من الاقتصاد التسليم بالاستلزامات و ليس بالمعاني، لأن المعاني المستلزمة يمكن تفسيرها في حدود مباديء سيكولوجية عامة للتخاطب، في حين أن المعاني تتطلب أعرافا لغوية محددة[22].

لقد كان لهذا المبدأ نتائج مهمة تسمح بتبسيط الوصف الدلالي (المعاني المرتبطة بالتعابير اللغوية). كما تساعد على تأسيس نوع جديد من المقاربات اللسانية وهو ما سمي بنظرية الدلالة الأحادية (**la théorie de l'univocité**)، و التي تدعو إلى تقليص معاني الكلمات إلى حد أدنى.

وهكذا وجد **غرايس** أن الاستعمال هو الحاكم و المتحكم في معاني الكلمات و العبارات و الذي ينتج عنه الاستلزام، و يفسَّر بدوره في إطار مباديء الحوار والسياق و المقام.

وبعد هذا العرض المقتضب لبعض أهم النظريات و الدراسات الغربية التي تناولت المعنى، ومع اختلاف مناهجها و النتائج التي توصلت إليها، يبقى المعنى ظاهرة معقدة، مما جعل العلماء العرب قديما يهتمون بها محاولين تفسيرها كهدف في حد ذاته أو كوسيلة للوصول إلى مقاصد أخرى.

فا**بن خلدون** مثلا ربط الدلالة بالمقام و أحوال المتخاطبين ليكون الكلام ذا فائدة و يمكن فهمه وإدراك مغزاه، يقول: "و يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة

[22] ينظر صلاح اسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، ص 91.

عليه لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه.... ولكل مقام عندهم (العرب) مقال يختص به...."[23].

وكتب **الجاحظ** عن أهمية المقام في حصول الصواب من القول وإحراز الإفادة منه يقول:" وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال"[24]

في حين استطاع **الجرجاني عبد القاهر** أن يضع نظريتي علم المعاني والبيان وضعا دقيقا في كتابيه " دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة"، حيث درس في الأول قضايا تخص المعنى، وفي الثانيَ وضّح مختلف صور البيـــان من استـــعارة و كنـــاية و مجاز وتشبيه.

أما السكاكي و البلاغيون من بعده من أمثال **الخطيب القزويني** فقد جعلوا المعاني فرعا من فروع البلاغة (مع البيان و البديع) يختص بدراسة المعاني والأفكار من أجل اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف، يقول **السكاكي:** " علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليتحرز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[25].

أما أهل أصول الفقه فقد درسوا معاني النص القرآني و الأحاديث النبوية الشريفة فوجدوا اللفظ يدل على المعنى بطرق شتى، منها دلالة الإشارة ودلالة النص ودلالة الاقتضاء، ومفهوم الأدلة الشرعية والتي تؤخذ منها الأحكام، وإن كان يصعب أحيانا

[23] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، لبنان، 2012، ص 505.

[24] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص 132.

[25] أبو يعقوب يوسف السكاكي،مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية لبنان، ط2،1987،ص161.

إيجاد الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، فإن الأصوليين قد وجدوا طرقا يستدلون بها على الأحكام الشرعية مستعملين في ذلك الإجماع والقياس كطرق للاستدلال.[26]

**3-الاستدلال:**

كان الاستدلال دائما مفهوما مشتركا في المنظومة المعرفية القديمة بين الفلسفة والمنطق وأصول الفقه والبلاغة، ولا يزال محل اشتراك أيضا في العلوم الحديثة، بين اللسانيات وعلم الدلالة والتداوليات الحديثة والذكاء الاصطناعي.

وقد ارتبط مفهوم الاستدلال بمعاني لغوية كثيرة من قبيل الدليل والدلالة واللزوم و الاستنتاج والاستنباط والاستلزام والبرهان والقياس والحجة، ففي كشاف **التهانوي** " الاستدلال طلب الدليل"[27]، و عموما يطلب الدليل من المعترض على الرأي المعروض.

وفي عرف الأصوليين يطلق على "إقامة الدليل مطلقا من نص أو إجماع أو غيرهما، والدليل ما يستلزم الحكم"[28].

و يرى **الآمدي** أن " الدليل مؤلف من أقوال يلزم من تسلميها لذاتها قول آخر"[29]، والانتقال من قول إلى قول آخر ذُكر عند **طه عبد الرحمان**، في سياق حديثه عن حد المنطق عند العرب، مع مفهومين آخرين هما مفهوم القول ومفهوم الطلب وجمع بين الثلاثة بمصطلح اللزوم.

فاللزوم يفيد معنى الانتقال، إذ نقول لزم شيء عن شيء، أي تولد منه بنقْلة مخصوصة، ويفيد معنى القول فيقال: لزم من قول كذا كذا، ويفيد معنى الاقتضاء الذي يتضمن الطلب (اقتضى الشيء وطلبه)[30].

---

[26] محمد بن أحمد تقية، المختصر الوافي في أصول الفقه، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط01، 2000، ص 202.

[27] محمد علي بن علي التهانوي، كشاف الفنون والعلوم، دار قهرمان للنشر والتوزيع، اسطنبول، 1984، ص 151.

[28] نفسه، ص151.

[29] نفسه ص 152.

[30] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي،المغرب، ط1،1998، ص 87.

كما ذكر **طه عبد الرحمان** لفظ الاستلزام والاستنتاج والدليل للتعبير عن عملية الانتقال التي تُوصل إلى النتائج[31].

وقد ربط دائما العلماء المسلمون– لغويون وبلاغيون وأصوليون وفلاسفة– في التعريف بين الدلالة والاستدلال، فضلا عن ارتباطهما الاشتقاقي الظاهر، "إذ جعلوا الاستدلال من مقتضى الدلالة في تعريفهم المتواتر: الدلالة على الشيء ما يمكن لكل مستدل الاستدلال به عليه"[32].وهذا ما يجعل أغلب الباحثين يعرِّفون الاستدلال حسب ما تفصح به الصيغة في العربية "طلب الدليل" وهذا يفترض معطيات ثلاثة هي الدليل المطلوب والنتيجة وعملية الاستدلال التي تمثل العلاقة الرابطة بين الدليل والنتيجة"[33]، فتكون بذلك عملية انتقال من مجموعة عناصر للوصول إلى عنصر عن طريق إجراء يمكِّن من هذا الانتقال.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن الاستدلال الصناعي أو البرهاني الذي نجده في القياسات البرهانية بما يوضع لها من شروط في المقدمات وترتيب لها للوصول إلى النتيجة، كالانتقال من تلبد الغيوم في السماء إلى هطول المطر، ويشمل ذلك الاستدلال في المنطق والرياضيات الذي ينطلق من مقدمات ليصل إلى توليد نتائج لا تكون دائما صالحة.

أما الاستدلال الطبيعي فيختلف عن الاستدلال الصناعي، فإذا كان الاستدلال الصناعي قائما على وضوح نسبي في المقدمات، فالاستدلال الطبيعي مرتبط بالعناصر المستمدة من السياقين المقالي والمقامي عند التخاطب، "غير أن الإجراءات التي تمكن من الانتقال من الدوال إلى المدلولات غامضة تماما أو هي مختلفة تمام الاختلاف عن الإجراءات الصريحة المعتمدة في الاستدلال الصناعي[34]". فلا يمكن اختزال تقنيات

[31] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، سابق، ص88.

[32] نفسه ، ص100.

[33] شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط2، 2010، ص14.

[34] نفسه، ص 15.

الاستدلال الطبيعي (غير البرهاني) أو الخضوع إلى عملية برهانية واضحة لأجل فهم الخطابات اليومية بتنوع مقاماتها وسياقاتها فيكون بذلك ضرورة تنويع تقنيات الاستدلال بحسب تغير المقامات.

ويتطلب الاستدلال الطبيعي الوصول إلى نتائج ليس من الضروري أن تكون صالحة(منطقيا) بقدر ما تكون ناجحة (تواصليا) مستجيبة لأهداف التخاطب والتعامل الاجتماعي[35]، فنحن فلا يمكن إخضاع التبادلات الحوارية بين المتحاورين في الحياة اليومية إلى الاستدلال البرهاني الصارم، فالأمر لا يتعلق بحسابات منطقية وإنما تدخل فيه عناصر أخرى لغوية وغير لغوية( كالسياق و المقام و الظروف المختلفة و المعرفة المسبقة...)، الشيء الذي جعل **غرايس** يتحدث عن استدلال غير برهاني، وهو عملية ذهنية يقوم بها المتحاورون لأجل التوصل إلى المقاصد اعتمادا على سياق ومقام المحاورة والقائم على صياغة الفرضيات، ومن ثمَّ البرهنة على صدقها ( البرهنة هنا ليست قياسية منطقية وإنما هي عملية استغلال للسياق والمعرفة المسبقة والمشتركة بين المتحاورين)، و يرتبط صدق النتائج بصدق الفرضيات وهو ( الاستدلال) ما يوصل المتحاورين إلى فهم المعاني المستلزمة حواريا. وقد تحدث **طه عبد الرحمان** عن هذه العملية أي عملية الانتقال من اللازم إلى الملزوم ( يقال لزم عن قول كذا، كذا)، والأثر الذي يصاحب مختلف أطوار هذه العملية، وتسمى عملية الانتقال هذه بالاستلزام " أما عملية الانتقال فقد اشتق لها لفظ الاستلزام أو لفظ الاستنتاج"[36].

وقد ذكر بعض أنواع الاستلزام، منها ما يستند إلى المضمون الدلالي للقول الطبيعي والمجرد من المقام أو السياق، وهي الاستلزامات التي تتعلق بالبنية الدلالية للقول وبمعاني المفردات الداخلة في تركيبها[37]، ومنها "ما ينشأ عن المقام الذي قيل فيه

[35] سبربر وولسون، الملاءمة: التواصل والإدراك، ص 108، نقلا عن شكري المبخوت، ص 16.

[36] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، ص 88.

[37] نفسه، ص 90.

أو عن السياق الذي جيء به من أجله والتي تتوسل بجملة من قواعد التخاطب التي يتبعها قائله"[38].

وهذا الاستلزام هو من أهم أنواع الاستلزامات التي تتعلق بالقول الطبيعي على حد قول **طه عبد الرحمان** الذي يميز–حسب تمييز **غرايس**–بين نوعين من الاستلزامات التخاطبية وهما "الاستلزامات التخاطبية الخاصة" و"الاستلزامات التخاطبية المعممة"[39].

أما العرب قديما (نحويون، بلاغيون، أصوليون) فقد تطرقوا إلى قضية الاستلزام الحواري وتعرفوا على مختلف طرق الاستدلال، منها الاستدلال الموصل إلى المعاني الضمنية؛ فقد تحدث **الجرجاني** عن عملية الانتقال من المعنى الظاهر إلى المعنى الضمني (معنى المعنى) على أساس وجود تلازم بينهما، بحيث يستدل بالمعنى الظاهر على المعنى الضمني بعلاقة التلازم الذي يعود حسب **الجرجاني** إمّا إلى العرف وإمّا إلى دلالة الحال وقرائن المقام[40].

في حين ينتقل المعنى الوضعي المستفاد من التراكيب النحوية عند **السكاكي** إلى دلالات عقلية ذات معاني مجازية تقوم على فكرة " الملازمات بين المعاني"، حيث يقول السكاكي: " وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه[41]"، وهذا ما يدرس في علم البيان. ويتم في الملازمات الانتقال من التعبير اللغوي المباشر والصريح إلى معان ثانية مستلزمة من المعاني الأصلية، وتنقل المخاطَب من المحتوى القَضَوي للجملة إلى مستوى آخر تجعله أقرب إلى غرض المتكلم ومقصده، والذي يتمكن من معرفته باستغلال المقام.

[38] نفسه، ص 97.

[39] ينظر الشرح في الفصل الثاني.

[40] ينظر شكري المبخوث، الاستدلال البلاغي، ص 33.

[41] السكاكي، سابق، ص 438.

أما علماء الأصول فقد تفطنوا لوجود اللزوم بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي والقرينة الهادية إلى المعنى الفرعي آخذين بعين الاعتبار مقام الخطاب؛ وهذا الانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى الفرعي يتم عن طريق الاستدلال المتمثل في القياس: "فهم يقيسون الأشباه بالأشباه منها، و يناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم... و صار ذلك دليلا شرعيا بإجماعهم عليه وهو القياس"[42].

ونظرا لأهمية البحوث البلاغية والأصولية والنحوية القديمة، نجد اهتماما كبيرا من قبل المحدثين والمعاصرين بها نظرا لما تحمله من قضايا تداولية، وما يهمنا منها هي قضية الاستلزام الحواري التي اعتنى بها الغرب منذ بداية القرن 20م من أمثال **سيرل** و**غرايس** في حين تفطن لها العرب منذ قرون كثيرة خلت، ولكن باستعمال مصطلحات وتسميات مختلفة فسماها **الجرجاني**" معنى المعنى"، و**السكاكي** " الملازمات بين المعاني"، و**الغزالي**" المعنى الفرعي"، وأدلى كل منهم في الموضوع بدلوه، نفصل في بعضه في الفصل الآتي.

[42] ابن خلدون،سابق، ص 419.

## الفصل الأول: الاستلزام الحواري في التراث العربي القديم، البلاغة (السكاكي نموذجا) وأصول الفقه (أبو حامد الغزالي نموذجا).

تمهيد

1. المعنى الأصلي والمعنى الفرعي عند أبي يعقوب السكاكي.

1.1.المقام ومقتضى الحال عند السكاكي.

2.1. الخبر والطلب عند السكاكي.

3.1. الملازمات بين المعاني عند السكاكي.

2. الاستلزام الحواري عند علماء أصول الفقه.

1.2. طرق الدلالة عند الأصوليين.

1.1.2. دلالة عبارة النص.

2.1.2. دلالة إشارة النص.

3.1.2. دلالة النص (عند الغزالي: فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده).

4.1.2– دلالة اقتضاء النص.

5.1.2– دلالة المفهوم.

2.2. الأمر والنهي عند الإمام الغزالي.

1.2.2– صيغ الأمر والنهي عند الغزالي.

**تمهيد:**

إن الحديث عن الاستلزام الحواري في الدراسات الغربية يحيلنا تاريخيا إلى أسبقية الدراسات العربية القديمة لهذه الظاهرة اللغوية، ونرى من الضروري الكلام أولاً عن جهود العرب القدامى في رصد ظاهرة الاستلزام الحواري، ومن أهم مصادر التفكير التداولي عند العرب، علم البلاغة وأصول الفقه*. و اعتبر أحمد المتوكل أنّ الإنتاج اللغوي العربي القديم يؤول في مجموعه، (نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره) إلى المبادئ الوظيفية[1] ومن أهم ملامح ذلك ما يلي[2]:

- من المعلوم أن الدراسات اللغوية العربية كانت لأجل دراسة القرآن وفهمه، وهذا يعني أن الوصف اللغوي آنذاك لم يكن منصبا على جمل مفردة مجردة من مقامات إنجازها بل على "خطاب" متكامل متماسك.
- بالنظر إلى طبيعة الموضوع المتناول، كان الوصف اللغوي يربط بين المقال والمقام، أي بين خصائص الجمل الصورية (التركيب) وخصائصها التداولية.
- يهتم النحاة والبلاغيون بدراسة الأغراض المترتبة عن التلفظ بالجمل في مختلف المقامات وكذا الرُّتب التي يمكن أن تأخذها المكونات داخل الجملة طبقا لمختلف المقامات التي تنجز فيها؛ فأدوات الاستفهام مثلا قد يخرج معناها من الاستفهام إلى أغراض أخرى في سياقات معينة كالتعجب، مثل: **أتجادل أباك؟**

و الإنكار في: **لماذا نسافر؟** و التهديد فيمن يقول لمن يسبه: **أتدرك ما تقول؟** و اللوم في: **لماذا فعلت ذلك؟**

* عندمانتحدث عن التراث العربي الذي تناول قضية الاستلزام الحواري فإننا نتحدث عن علوم مختلفة كالنحو والبلاغة وأصول الفقه والتفسير، غير أننا سنرصد الظاهرة في نموذجين هما البلاغة وأصول الفقه (وكذلك في نماذج محددة).

[1] ينظر أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط2، 2010، ص 39-40.

[2] نفسه، ص 40-41.

و أمّا ما يتعلق برُتَب عناصر الجملة، فيتدخل في تحديدها وظائفها التداولية؛ فنجد العناصر الحاملة للمعلومات الأكثر بروزا أو التي تكون أكثر أهمية عند المتكلم تتصدر الجملة و تليها العناصر الأخرى ، و مثال ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (الفاتحة: ٥)، فتقدُّم المعمول هنا يفيد الاهتمام و الحصر و التخصيص( تخصيص و حصر العبادة و الاستعانة بالله وحده).[3]

يضاف إلى ذلك ورود مبادئ منهجية في الفكر اللغوي العربي تقترب من المبادئ المنهجية التي تحكم الدرس التداولي المعاصر[4]:

1. يعتبر العرب اللغة وسيلة تواصل يعبر بها البشر عن مختلف الأغراض، فقد عرّفها ابن جني: "أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[5]، وفي هذا التعريف قيم تداولية، فاللغة ذات قيمة نفعية تعبيرية[6].
2. حاولت الدراسات العربية خاصة منها البلاغية والأصولية وصف الترابط القائم بين بنية اللغة ووظيفتها؛ "فباعتبار التراكيب اللغوية وسائل لتحقيق أغراض تواصلية معينة، انصّبت هذه الدراسات على رصد العلاقة بين كل نمط من أنماط التراكيب والغرض المتوخى تحقيقه"[7].

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1984،ج1،ص183-184.

[4] أحمد المتوكل، سابق، ص 93.

[5] ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد،المكتبة التوفيقية،الحسين،1418 هـ،ج1 ، ص 44.

[6] بوجادي خليفة في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 134.

[7] أحمد المتوكل، نفسه، ص 95.

3. اعتنى القدامى بالمتكلم وأكدوا على أهميته في إنجاز الخطاب، وهذا يظهر من خلال اهتمامهم بكفاءاته اللغوية، وهي في نظر العرب قديما ثلاثة أنماط[8]: تتمثل الأولى في معرفة المدلولات والألفاظ الدالة عليها، والدليل قول **الجرجاني**: "إنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة، إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها، لأدى ذلك إلى مالا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرف بها، حتى كأنهم لم يكونوا قالوا: "رجل" و "فرس" و "دار" لما يكون لنا علم بهذه الأجناس"[9].

**و** أما الكفاءة الثانية فتتمثل في معرفة قواعد لغة محددة، يقول **الجرجاني** أن المتكلم "لا يكون متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه"[10].

وأما الكفاءة الثالثة فهي التي تمكن المتكلم من إنجاز خطابه وتنظيمه حسب متطلبات المقام وتبعا للأهداف التي يريد تحقيقها، وكان القدامى يعبرون عن هذه المعرفة بـ"الفصاحة" و "البلاغة"[11].

وتشكل هذه الكفاءات الثلاث كفاءة لغوية واحدة حيث تقتضي كل واحدة منها الأخرى، فلا يمكن للمتكلم أن يمتلك القواعد الخطابية إلا إذا كان ممتلكا لقواعد اللغة ولا يمكن استعمال قواعد اللغة إذا لم يكن يمتلك معرفة أوضاعها وما تدل عليه.

---

[8] العياشي أدراوي، من الاستلزام الحواري إلى التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 23.

[9] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، 2008، ص 540-541.

[10] نفسه، ص 402.

[11] أحمد المتوكل، سابق، ص 96.

4. اقتصر العلماء العرب في دراستهم للظواهر التداولية كأفعال الكلام والاستلزام الحواري على التراكيب الدالة المفيدة دون غيرها، فقد بيّن **السكاكي** أن موضوع علم المعاني هو "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره... وأعني بخاصية التراكيب ما يسبق منه الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له[12].

ويُفهم من كلامه أن دراسة العلماء العرب (ولاسيما علماء المعاني والأصوليون) مقتصرة على التراكيب الدالة المفيدة، أي التي لها دلالات مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية) لازمة لها على حد تعبير **السكاكي**. والملاحظ أن العلماء العرب عامة كثيرا ما كانوا يركزون على "دعامة الإفادة في دراستهم للجملة والنص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة، فقد كانت مراعاتها من قبل علمائنا عنوانا على أي دراسة لغوية وظيفية جادة"[13].

ومفاد هذا أن علم المعاني يدرس المعنى في علاقته بقائله و متلقيه، و بالسياق، ليتم التمييز وفق قواعد محددة بين الصريح من المعنى والمستلزم منه، فما هي إذن الضوابط التي تجعلنا نميز بين الدلالة الأصلية والدلالة الفرعية حسب **السكاكي؟**

**1-المعنى الأصلي والمعنى الفرعي عند أبي يعقوب السكاكي:**

يتحدث **السكاكي** في كتابه "مفتاح العلوم" عن كيفية التركيب والتي تؤدي دلالة وضعية أو ما سماه بالمعنى الأصلي للجملة، و يقوم علم النحو بدراسته، يقول: "هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب في ما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا"[14].

---

[12] السكاكي، سابق، ص 161.

[13] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 51.

[14] السكاكي، نفسه، ص 75.

وتحدث في مقابل ذلك عن "خاصية التركيب"، ويقصد بها "ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب"[15]. فخصوصية التركيب تعني الربط بين كيفية التركيب ووظيفته التخاطبية في مقام خاص[16] و يعبر عنه السكاكي بمقتضى الحال الذي يجعل التركيب على صفة معينة.

وتُدرس خواص التراكيب في إطار علم المعاني الذي يأخذ بعين الاعتبار المعطيات المقامية للخطاب ليس لمعرفة الدلالات الظاهرة في التركيب فقط ولكن أيضا لمعرفة الدلالات الناتجة عن علاقة القول بمقتضى الحال والمقام.

### 1.1المقام ومقتضى الحال عند السكاكي:

يقصد **السكاكي** بمقتضى الحال "الاعتبارات التي تجعل التركيب على صفة من الصفات ووجه من الوجوه دون غيرها"[17]، هو "الاعتبار المناسب"[18] لورود الكلام كأن يكون المخاطَب منكرا للحكم فيجيء الكلام الموجه إليه مؤكدا تأكيدا قويا، يقول **السكاكي:** "فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وإن كان مقتضى ذلك طي ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب"[19]. فالحال إذن هي الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص

[15]السكاكي، سابق، ص 161.

[16] شكري المبخوت، سابق، ص 75.

[17] نفسه، نفس الصفحة.

[18] السكاكي، نفسه، ص 168.

[19] نفسه، ص 168-169.

"أي الأمر الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل المعنى خصوصية ما، هي المسماة بمقتضى الحال"[20]

وأما مقام الكلام فهو عند **السكاكي** الأغراض التي يساق الكلام لأجلها كالشكاية والتعزية والترغيب والترهيب، يقول **السكاكي:** "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب"[21].

والمقام بهذا المفهوم يختلف عن مفهومه في التداولية الحديثة والذي يشمل كل من: المشاركين في التبليغ، مكان التفاعل، القول، مقاصد المتكلمين... ويتلخص في مجموعة الشروط الاجتماعية والتاريخية والعوامل غير اللسانية التي يتحدد بمقتضاها إنشاء عبارة أو عبارات في زمان ومكان ما[22]. غير أنه ما يغلب في الاستعمال في الدرس التداولي الحديث مصطلح "سياق" والذي يشمل عند **فان ديك** "المشاركين في الحوار و ما يحملون بداخلهم من معارف و معتقدات و أهداف و مقاصد و كذلك الأفعال اللغوية التي تنجزها الجمل التي يستعملونها و تركيبها إضافة إلى مكان و زمان المحادثة"[23]، والسياق أنواع:

– السياق اللغوي (co-texte): و هو "ما يحيط بالعنصر اللغوي من وحدات صوتية أو صرفية أو تركيبية"[24]، أي ما يسبق الصوت أو الكلمة أو الجملة و ما يليهم و يحدد مدلولاتهم.

[20] التهانوي، سابق، ص616.

[21] السكاكي، سابق، ص168.

[22] ينظر بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، ص116.

[23] Van Dijk, Text and Context, Explorations in the semantics and pragmatics of discourse, LONGMAN, Linguistics Library, London and Newyork, 1977, P191.

[24] Encyclopedia Universalis.

-السياق الحالي ( contexte situationnel): ويتمثل في الظروف الاجتماعية و الثقافية و النفسية و مجموعة التجارب و المعارف العامة و ما يتبادله المتكلمون من معلومات"[25]

وفي الواقع كثيرا ما يلتبس لفظ السياق (contexte) بالمقام (situation) ويؤخذان على أنهما لمدلول واحد، لذلك نجد بعض الدارسين يحاولون التمييز بينهما، ف**جورج مونان** يقول: "السياق لساني وأما المقام فهو الخبرة غير اللسانية"[26] ويمثل لذلك قول أحدهم مشيرا إلى قلم على الطاولة: أعطني إياه، وفي المقابل نكتب: أعطني القلم الذي على الطاولة، لنكون قد عوضنا المقام الغائب بالسياق اللساني، لأن عبارة "الذي على الطاولة" توضح السياق وتغني عن ذلك الإشارة باليد في المقام.

وقد يتوافق "السياق" في التداولية مع "مقتضى الحال" عند **السكاكي** الذي يعني الاعتبار المناسب والذي يَرد حسبَه الكلام ويُحدث الإفادة. وهو ما قاله **ابن خلدون** أيضا: "إذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"[27].

وكذلك تساعد معرفة المعطيات الثقافية والاجتماعية والنفسية والتجارب المشتركة والمعارف الخاصة بالمتخاطبين على فهم الكلام وبالتالي تحقيق الإفادة أو التواصل.

ولئن كان حسن الكلام رهين إيراده بحسب الاعتبار، فإنه يكون أيضا بتوجيهه إلى اعتبار مخالف لمقتضى الحال لتحقيق أغراض أخرى يقول **السكاكي**: "إنك ترى

[25] Encyclopedia Universalis,Op.Cit.
[26] Voir Georges Mounin : Dictionnaire de la linguistique, quadrige PUF, 1974, P83-84.
[27] ابن خلدون، سابق، ص 574.

المفلّقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا على مقتضى الظاهر كثيرا"[28]، وعلى هذا النحو قد تكون الدلالة الزائدة عن الدلالة الوضعية على خلاف مقتضى الظاهر، وفي الواقع أن الحاصل من علاقة القول بمقامه ومقتضى الحال مهما كانت صورة إخراجه لا يمكن أن يكون إلا دلالة غير وضعية، ولتوضيح ذلك نورد قضية الخبر والإنشاء عند **السكاكي** وقضية الملازمات بين المعاني من خلال كتابه "مفتاح العلوم".

### 2.1. الخبر والطلب عند السكاكي:

كانت ظاهرة الخبر والإنشاء في التراث العربي القديم حقلا مشتركا بين تخصصات علمية متعددة "فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيون والنحاة والأصوليون، واقتصرت دراستهم تلك على التراكيب الدالة المفيدة"[29]، وقد أولى **السكاكي** بهذه الثنائية اهتماما كبيرا، حيث فصّل فيها (شرحا و تمثيلا) وبيّن كيفية التوصل إلى فهم الأغراض المترتبة عن كل نوع منهما.

فهو بداية يُقسِّم الكلام بشكل عام إلى الخبر و الطلب، يقول: "السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر و الطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها"[30].

أمّا الخبر فهو لا يعدو أن يكون الحكم، ويتم هذا الحكم بالنظر إلى الواقع، أو بالنظر إلى اعتقاد المتكلم، يقول **السكاكي**: "ومرجع كونه (الخبر) صدقا أو كذبا عند الجمهور إلى مطابقة ذلك الحكم للواقع، أو غير مطابقته له ... وعند بعض إلى طباق الحكم لاعتقاد المخبر أو ظنه ... سواء كان ذلك الاعتقاد أو الظن

[28] السكاكي، سابق، ص 171.

[29] مسعود صحراوي، سابق، ص 50-51.

[30] السكاكي،نفسه، ص 164.

خطأ أو صوابا"[31] فصدق الخبر مطابقة حكمه للواقع وهو الخارج الذي يكون لنسبة الكلام الخبري، وكذبه هو عدم مطابقته للواقع و ينسب الكلام كذلك لاعتقاد المتكلم وإن كان مخطئا.

والأصل في الخبر إفادة السامع كقولك "**زيد عالم**" لمن ليس واقفا على ذلك وتسمى فائدة الخبر، و هي المقصد الأول للإسناد الخبري[32]، وإما كون المخبَر عالما بالحكم كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم أنك تعلم ذلك: "**زيد عندك**" أو قول مريم ابنة عمران: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ (آل عمران: ٣٦ )، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر[33]، و لازم فائدة الخبر هو المقصد الثاني للإسناد الخبري.

والخبر عند **السكاكي** ثلاثة أنواع: ابتدائي وطلبي وإنكاري.

"فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يُلقى إليه، ليحضر طرفاه عنده، وينتقش في ذهنه إسناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أو انتفاء، كفى في ذلك الانتقاش حكمه و يتمكن لمصادفته إياه خاليا."[34] فإذا قصد المخاطب الإفادة ووجه كلامه لمخاطَب خالي الذهن من الحكم والتردد فيه وهو "الذي لا يكون عالما بوقوع النسبة أو لا وقوعها، ولا مترددا في هذه النسبة واقعة أو لا"[35]، والخلو عن الحكم يستلزم الخلو عن التردد فيه، ولا حاجة للمتكلم هنا من استعمال أدوات التأكيد فينقش بذلك الحكم في ذهن المخاطب إما بالإثبات أو بالنفي، كقوله تعالى في قصة سيدنا آدم عليه السلام:

---

[31] السكاكي، سابق، ص 166.

[32] ينظر نفس المصدر، نفس الصفحة.

[33] ينظر سعد الدين التفتازاني، مختصر السعد في شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003، ص 49.

[34] السكاكي، نفسه، ص 170.

[35] التفتازاني، نفسه، ص 51.

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴿٣٦﴾ ﴾ (البقرة: ٣٦) **عند السكاكي** حكم ابتدائي.

وأمّا "إذا ألقاها إلى طالب لها متحيز طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين بين، لينقذه من ورطة الحيرة..."[36]، فإذا كان المخاطب طالبا للخبر مترددا في وقوع النسبة أو لا، فهنا حسُنَ تقوية الحكم بمؤكد كاستعمال "اللام" أو "إن"، كقوله تعالى في قصة رسل عيسى عليه السلام إذ كُذِّبوا في المرة الأولى ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (يس: ١٤ ) وسمي هذا الخبر طلبيا، ولما بالغ المخاطبون في الإنكار ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (يس: ١٥ ) فكان الرد في هذه المرة مؤكدا بـ "القسم"، و"إن" و"اللام": ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (يس: ١٦) ،فهو موجه إلى مخاطَب معترض على الحكم ولذا توجب توظيف أدوات تأكيدية لترسيخ ذلك الحكم، يقول **السكاكي**: "وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه، ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده"[37] وهذا ما سماه بالخبر الإنكاري.

ويسمى إيراد الكلام على الأضرب الثلاثة (الخلو عن التأكيد في الأول والتقوية بمؤكد استحسانا في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الإنكار في الثالث) "إخراجا على مقتضى الظاهر"[38].

وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فتتولد أغراض مختلفة نحو:

[36] السكاكي، سابق، ص 170.

[37] نفسه، ص 171.

[38] التفتازاني، سابق، ص 52.

التوبيخ في قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(البقرة: ١٢)

- والإرشاد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾(الرعد: ١٩ )
- والتهديد في قوله:﴿ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾(آل عمران: ١٥٨ )

فيظهر أن الآيات الكريمة تحمل أخبارا محددة إلا أنها ترمي إلى أغراض ومعان ضمنية بحسب السياق الذي وردت فيه.

جاء في الإيضاح ومختصر السعد أن الكلام إذا أُخرج على خلاف مقتضى الظاهر "جعل غير السائل كالسائل إذا قدم إليه ما يلوح له بالخبر، فيستشرف له استشراف الطالب المتردد"[39] نحو:﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾(هود: ٣٧) .

فإذا قُدِّم لغير السائل ما يشير له بحكم الخبر، فينظر إليه نظر الطالب المتردد كقوله تعالى:﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾(هود: ٣٧) ،أي لا تدْعُني يا نوح في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك، فهذا كلام يلوح بالخبر ويُشعر بأنهم قد حق عليهم العذاب، فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في شأنهم هل صاروا محكوما عليهم بالإغراق أم لا، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ مؤكدا[40].

وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيجعل "غير المنكر كالمنكر إذا لاح عليه شيء من أمارات الإنكار إذا تأمله ارتدع عن الإنكار"[41]، كما يقال لمنكر الإسلام: "الإسلام حق"، من غير مؤكد، وقوله تعالى﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴿٢﴾ ﴾(البقرة: ٢ )[42] في

[39] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص 29.

[40] ينظر التفتازاني، مختصر السعد، ص 53.

[41] الخطيب القزويني، نفسه، ص 31.

[42] السكاكي، سابق، ص 165.

شأن القرآن، وظاهر الكلام هنا أنه مثال لجعل منكر الحكم كغيره، وتُرك التأكيد لأجل ذلك.

ومن ثَمّ فحتى الخبر لا يقصد منه الإخبار دائما بل يخرج إلى معان أخرى ويؤدي أغراضا غير الظاهرة في العبارة.

فإذا أتينا إلى **الطلب** عند **السكاكي** فإنا نجـده يختلف عن الخبر من حيث كونه لا يخضع لمعيار النسبة أي الصدق والكذب، يقول **السكاكي** في هذا الشأن: "ثم إن الطلب والخبر بعد افتراقهما بحقيقتهما، يفترقان باللازم المشهور، وهو احتمال الصدق والكذب"[43]. لكنه (الطلب) كالخبر يحمل معاني أصلية وأخرى فرعية تتولد عن المقام. ونجد **السكاكي** يركز على أبواب الطلب وكيفية توليده لأغراض فرعية يقول: "لقد سبق أن حقيقة الطلب حقيقة معلومة مستغنية عن التحديد، فلا نتكلم هناك، وإنما نتكلم في مقدمة يستند عليها المتعلم من بيان ما لابد للطلب ومن تنوعه والتنبيه على أبوابه في الكلام وكيفية توليدها لما سوى أصلها"[44].

والطلب نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول (التمني)، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول (الاستفهام و الأمر و النهي والنداء).

والمطلوب ينحصر في قسمين[45]: حصول ثبوت متصور (لأن الطلب لا يصح من غير تصور)، أو حصول انتفائه، ويكون الحصول إما في الذهن أو في الخارج.

أما النوع الأول من الطلب وهو التمني، فيطلب فيه المتمني غير الواقع فيما مضى واقعا مع امتناع حصوله كقوله: **ليت زيدا جاءني**، أو يطلب عود الشباب مع علمه بأنه لا يعود فيقول: **ليت الشباب يعود**.

---

[43] السكاكي، سابق، ص165.

[44] نفسه، ص302.

[45] نفسه، نفس الصفحة.

وأما النوع الثاني من الطلب فيضم الاستفهام والأمر والنهي والنداء.

أما الاستفهام، فهو طلب حصول المطلوب في الذهن، فيطلب المستفهم ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك. يقول **السكاكي:** "فإنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش مطابق له"[46]، كطلب التصديق بـ "هل" في قولك: "**هل زيد قائم**" ليحدث الحكم بالثبوت أو بالانتفاء من خلال ما هو حاصل في الخارج فيثبت الحكم في الذهن.

وأما الأمر فقد يأتي مقترنا باللام نحو: "**ليحضر زيد**"، ويستعمل لغرض الاستعلاء وهو المتبادر إلى الذهن عند سماعه، ويجب الإتيان على الطلب كونه صادرا ممن هو أعلى مرتبة من المأمور وإلا أفاد الطلب وتولد بحسب قرائن الأحوال أغراض أخرى كالالتماس مثلا إذا كان الآمر في نفس المرتبة مع المأمور.

وأما النهي بـ "لا" الجازمة "لا تفعلْ" فيكون كذلك بشرط الاستعلاء الذي يوجب الامتثال وإلا أفاد طلب الترك فحسب.

وأما النداء كقولك "**يا زيد**" فإنك تطلب إقباله عليك[47].

هناك فرق بين الطلب في الاستفهام وبين الطلب في الأمر والنهي والنداء يتمثل في كون المستفهم يطلب ما هو في الخارج ليحصل له في الذهن، وأما في الأمر والنهي والنداء فإنك تطلب ما هو في ذهنك ليحصل في الخارج، فإن قلت "**اجلس**" مثلا طلبت الجلوس في الخارج.

[46] السكاكي، سابق ، ص 304.

[47] لمزيد من الأمثلة، ينظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص 307-322.

فإن استعملت صيغ الطلب الخمسة "التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء" لمطلوب حاصل توجه الطلب حينئذ إلى مطلوب غير حاصل وامتنع إجراؤها على معانيها الأصلية ليتولد منها ما يناسب المقام[48].

فإن قلت لمن همّك همّه: **ليتك تحدثني**، امتنع إجراء التمني لأنه حاصل، فتطلب من صاحبك أن يحدثك غير طامع في حصول ذلك، ليتولد بقرينة الحال معنى السؤال: **هلا حدثتني؟**

وإذا قال متكلم إلى من لا يريد النزول: **ألا تنزل فتصيب خيرا؟** امتنع أن يكون المطلوب بالاستفهام التصديق لكونه حاصلا، ويتوجه بمعونة قرينة الحال إلى غير حاصل ليتولد هنا معنى العرض.

وإذا قال متكلم لمن يدّعي أمرا ليس في وسعه القيام به: **افعله**، امتنع حصول الأمر إلى مطلوب غير حاصل وتولد منه التعجيز والتحدي.

فإذا خاطبت من هو أقل مرتبة منك لا يمتثل لأمرك وقلت له: **لا تمتثل لأمري**. امتنع طلب ترك الامتثال لكونه حاصلا وانتقل إلى غير حاصل مثل: **لا تكترث لأمري** وتولد منه التهديد.

وإذا خاطبت من أقبل عليك يتظلم: **يا مظلوم!** امتنع هنا النداء لطلب الإقبال لأنه حاصل وتوجه إلى غير حاصل كزيادة الشكوى وتولد منه الإغراء[49].

[48] ينظر التفتازاني، مختصر السعد، ص 193.

[49] لمزيد من الأمثلة، ينظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص 304-306.

ومن خلال هذا العرض لنظرة **السكاكي** لثنائية الخبر والإنشاء، يتبين لنا أن **السكاكي** كان واعيا جدا بظاهرة خروج الأقوال المتضمنة للطلب عن معانيها الأصلية لتؤدي أغراضا أخرى بمعونة قرينة الحال، وذلك حين يختل شرط إمكانية حصول المطلوب، في حين نجد ما يقابلها عند **غرايس** ما يسمى بخرق أو استغلال القواعد وهي هنا بالذات استغلال لقاعدة الكيفية/الطريقة حيث يستعمل المتكلم أسلوبا معينا (كالاستفهام مثلا) بقصد تحقيق غرض آخر كالإنكار واللوم والاستبطاء وغيرها.

و مما يلاحظ أيضا في دراسة **السكاكي** تميّزها بالدقة المتجلية في تصدِّيه للجمل الطلبية، كل معنى بعينه من معاني الطلب بالشرح المفصّل مع التمثيل وتبيين مدى تحقيقها للشروط التي تجعل الطلب يخرج على أصله أو على خلاف ذلك.

زيادة على ذلك، قام **السكاكي** بعملية تنبؤية بالمعنى الذي تستلزمه الجملة حين خروجها عن المعنى الأصلي وانتقالها إلى تأدية معاني أخرى من تهديد وتوبيخ وتعجيز وإنكار وتحقير... ووصفها بالمعاني المتولدة عن قرائن الأحوال وذلك لوعيه بدور السياق في تغيير معاني الجمل وكذلك فهمها حين تلقيها.

### 3.1. الملازمات بين المعاني عند السكاكي:

إذا كان **السكاكي** في علم المعاني أورد قضية المعاني الأصلية والمعاني الفرعية للخبر والطلب، فإنه في علم البيان كان أوضح لظاهرة الاستلزام الحواري وأكثر تفصيلا من حيث كيفية وقوعها في التشبيه والمجاز والكناية، ويظهر لنا ذلك بداية من خلال تعريفه لعلم البيان وهو: "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[50].

[50] السكاكي، سابق، ص 122.

فالكلام متى كان موضوعا لمفهوم دل عليه من غير زيادة أو نقصان وذلك بحكم الوضع، وتسمى هذه: دلالة المطابقة ودلالة وضعيّة[51]، فإذا تعلق الأمر بمفهوم آخر يمكن الدلالة عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل[52]، فإيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتّى إلا في الدلالات العقلية، حيث يستفيد علم البيان من الدلالات الوضعية المستفادة من التراكيب النحوية ليصل إلى دلالات عقلية[53] تقوم على فكرة الملازمات بين المعاني.

ومرجع علم البيان – حسب **السكاكي** – اعتبار جهتين هما: جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم (المجاز)، و جهة الانتقال من لازم إلى ملزوم (الكناية)، ليكون بذلك علم البيان منصبا – بقدر كبير–على دراسة المجاز والكناية ذلك أن هناك تفاوتا في القدرة على إيراد المعنى بطرق مختلفة حيث تكون في المجاز والكناية أقوى منها في التشبيه لذلك كان اهتمام **السكاكي** بهما أكثر لدورهما في إثراء الجانب الدلالي والذي يفوق فاعلية التشبيه في معظم الأحيان[54].

أما المجاز فينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم كقولنا: [55]

رعينا غيثا ⟵ رعينا نباتا

ملزوم ⟵ لازم

(دلالة عقلية) (دلالة أصلية)

[51] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص 329.

[52] نفسه، ص 329.

[53] نفسه، ص 330.

[54] باديس لهويمل، الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي، مقاربات تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري،مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية. العدد2،2013.

[55] شكري المبخوت، سابق، ص86.

فالغيث (ملزوم) و هو الدلالة العقلية، والنبات (لازم) يمثل الدلالة الأصلية، ولا يجب أن يكون اللزوم عقليا حسب **السكاكي**.

ويمكن فهم المجاز بمقابلته بالحقيقة التي يتم العدول عنها إلى دلالات عقلية، يقول **السكاكي:** "الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة .... وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له .... مع قرينة مانعة من إيراد معناها في ذلك النوع ".[56]

وأما الكناية فهي لون من ألوان التعبير غير المباشر تقوم على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، أي من الدلالة الحرفية للعبارة إلى الدلالة المستلزَمة عنها مع جواز إيراد المعنى الحرفي[57]، وهو ما يميزها عن المجاز والتشبيه اللذين لا يصح فيهما إيراد المعنى الحرفي، ويتم فهم المعنى غير الصريح بمساعدة السياق الثقافي والاجتماعي الذي يشكل قرينة مساعدة في الاستدلال على المعنى المكنَّى.

ويمثل **السكاكي** للكناية بقوله[58]:

فلانة نؤوم الضحى ← فلانة مخدومة في بيتها

لازم ← ملزوم

فالمعنى الظاهر (تنام لساعة الضحى) صحيح ومعتمد، غير أن المعنى المقصود هو الراحة والترف لأنها مخدومة والعادة أن النساء يخدمن بيوتهن في هذا الوقت من الصباح.

[56] السكاكي، سابق، بتصرف، ص 359.

[57] نفسه، ص403.

[58] نفسه، ص402.

وأما التشبيه ففيه انتقال الدلالة من الملزوم إلى اللازم كتشبيه الخد بالوردة[59] الذي فيه إلزام للخد بالوردة التي تستلزم الحمرة الصافية، فيستدل بذلك على صفاء حمرة الخد بصورة شبيهة.

خدها كالوردة ⟵ خدها أحمر صاف [60]

ملزوم ⟵ لازم

وكذلك الأمر في الاستعارة –التي تعتبر تشبيها حذف أحد طرفيه – كاستعارة صفة الأسد للمقدام شديد البطش في المعارك.

في الحِمام أسد ⟵ في الحمام مقدام

ملزوم ⟵ لازم

غير أن العلاقة اللزومية في التشبيه والاستعارة "لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لابد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له"[61] وبذلك يكون الاستدلال على العلاقة بين اللازم والملزوم في مثال تشبيه الخد بالورد كما يلي:[62]

خدها كالوردة ⟵ يشبه لون خدها حمرة الوردة ⟵ خدها أحمر صاف.

وبهذا نصل إلى أن تحليلات **السكاكي** في علمي المعاني والبيان تكشف عن تصور تداولي في تحليل الخطاب مما يبيّن عمق الرؤية البلاغية والتداولية لدى **السكاكي** التي مكنته من وضع نظرية لظاهرة الاستلزام الحواري وذلك بوضع شروط

[59] السكاكي، سابق، ص 335.

[60] شكري المبخوت، سابق، ص86.

[61] السكاكي، نفسه، ص 331.

[62] شكري المبخوت، نفسه، ص 87.

الانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى الفرعي مع الأخذ بعين الاعتبار الدور الرئيسي الذي يمارسه السياق (قرينة الحال) في استعمال العبارات لغير ما وضعت له.

غير أنه لم يدرس الظاهرة في إطار التبادل الحواري، وإنَّما شرح الأقوال منفردة معزولة عن الحوار الذي وردت فيه، ذلك أنه انطلق في تحليلاته من ذهنه لينشئ قواعد للتعامل اللغوي، في حين تنطلق النظريات التداولية الحديثة من واقع التعاملات الحوارية إلى التنظير.

وكما سبق أن أشرنا، فإن خروج الخبر والطلب على خلاف مقتضى الظاهر ينتج عنه معاني فرعية يقابلها عند **غرايس** مصطلح "استغلال قاعدة الكيفية"، وأما ورود المعاني على شكل كناية ومجاز فهو يوازي عند **غرايس** استغلال قاعدة النوعية.

وأما قاعدة الكمية الأولى والتي تقضي عند **غرايس** بضرورة تقديم الكم الكافي من المعلومات، و قاعدة الكمية الثانية و التي تقضي بدورها تجنب تقديم معلومات زائدة عن الحاجة،فنجد **السكاكي** يرجعهما إلى ما يقتضيه الحال؛ فقد تأتي الزيادة إطنابا و هو مستحسن في البلاغة خاصة إذا جاء إيضاحا بعد إبهام[63]، كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ (طه: ١٨) ، جوابا عن﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (طه: ١٧).و قد تخرج الزيادة عن الاطناب كما في قوله تعالى: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ (الشعراء: ٧١)، في الجواب عن قول إبراهيم عليه السلام:﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الشعراء٧٠ )، حيث بسطوا الكلام ابتهاجا منهم بعبادة الأصنام و افتخارا بمواظبتها منحرفين عن الجواب المطابق المختصر و هو

[63] التفتازاني، سابق، ص 263.

"أصناما"[64]. و جاء في شرح **التفتازاني:**"ينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة"[65]، و قدر الحاجة يعني بلا زيادة أو نقص.

وأما قاعدة المناسبة التي تحدث عنها **غرايس** و أسّس عليها **سبربر** و**ولسن** نظريتهما من بعده، فإنا نجد **السكاكي** أكد عليها في قوله: "فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب"[66]، وفـي مـوضع آخر:"فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة"[67]، يضاف إلى ذلك ما قاله:" لكل مقام مقال... فمقام التشكر يباين مقام الشكاية و مقام التهنئة يباين مقام التعزية..." فلا يجب أن يخرج المتكلم عن الموضوع الذي هو بصدده فيقدم الشكر بدل أن يشتكي، أو يقدم التهاني بدل التعزية...

**2. الاستلزام الحواري عند علماء أصول الفقه :**

كان علماء الأصول من أهم من تعرض لقضايا المعنى والقصد، حيث اعتبروا قضية التكليف وتلقيه وفهمه قضية إبلاغية تواصلية، ولابد لعملية الإبلاغ هذه في نظر الأصوليين من أركان، و هي[68]:

1. الخطاب، وهو الحُكم.
2. الحاكم، وهو المتكلم وهو هنا الله سبحانه وتعالى.
3. المحكوم عليه، وهو المخاطَب المكلف، ويشترط فيه العقل والبلوغ.
4. المحكوم فيه، وهو الفعل "ويشترط فيه صحة حدوثه وجواز كونه مكتسبا للعبد حاصلا باختياره، ثم كونه معلوما للمأمور، وأن يكون بحيث يصح إرادة إقاعه طاعة وهو أكثر العبادات.

---

[64] السكاكي، سابق، ص178.

[65] التفتازاني، سابق، ص51.

[66] السكاكي، نفسه، ص169.

[67] نفسه، ص169.

[68] ينظر العياشي أدراوي، من الاستلزام الحواري إلى التداول اللساني، ص 42.

ومن ثم فالأصوليون لم يتعاملوا مع الخطاب مجردا عن صاحبه و متلقيه و عن العلاقة بينهما، بل نظروا إليه من حيث استعماله وتداوله وأخذوا بعين الاعتبار القرائن، فالأركان الأربعة مع القرينة ترسم للمستنبط حدودا تقيه الخطأ، فلزم عليه معرفتها.

ونجد من القضايا الأساسية أيضا التي اهتم بها الأصوليون، قضية قصد المتكلم وتحديد مراده، من منطلق أن المتكلم لا يتكلم إلا إذا كان لكلامه قصد، "وهذا القصد كما يرى الأصوليون أنه محدد عند المتكلم و ثابت لا يتغير، ولذلك يتخذ من الوسائل اللغوية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريده"،[69] غير أن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين بحسب تفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية. ومن أجل التوصل إلى قصد المتكلم يقول الغزالي: "ويكون طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة ... فإن تطرق إلى النص الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف كقوله تعالى «وآتوا حقه يوم حصاده » والحق هو العشر، وإما إحالة على دليل عقل، كقوله تعالى « والسموات مطويات بيمينه » وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين، يختص بدركها المشاهد لها فينقلها الصحابة إلى التابعين... وكل ما ليس له عبارة موضوعة باللغة فيتعين فيه القرائن"[70]، فقد يلتبس القصد إذا وقف عند المعنى العرفي للألفاظ دون إدراك معنى الاستعمال أو جهل السياق، ولذلك لا يعتد بطلاق المكره والغاضب، ورُفع التكليف عن النائم والمجنون، لأن الأعمال بالنيات. ونظرا لأهمية المعنى في عملية الاستنباط فإن علماء أصول الفقه أولوا اهتماما كبيرا لتصنيف الدلالة وتفريعها والتفريق بين أنواعها المختلفة من أجل التوصل للأحكام الشرعية الصحيحة والمقصود من الآيات الحكيمة.

[69] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص 89.

[70] أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة و تحقيق حمزة بن زهير حافظ، ج 3، ص 30-31.

## 1.2-طرق الدلالة عند الأصوليين:

قسّم علماء أصول الفقه دلالة اللفظ على المعنى تقسيمات تلفت الانتباه وتنُمُّ عن وعي كامل بما يتعلق بالمعنى يعادل الوعي التداولي الحديث، ومن أشهر التقسيمات تلك التي وضعها الأحناف والشافعيون.

أما الأحناف فيحصرون دلالة اللفظ على المعنى في خمسة: عبارة النص وإشارة النص، ودلالة النص واقتضاء النص ودلالة المفهوم وهو ما اعتمده الإمام **أبو حامد الغزالي** في مستصفاه.

### 1.1.2. دلالة عبارة النص:

وهي دلالة اللفظ على المعنى المتبادر فهمه من نفس صيغته[71]، وكل نص له معنى متبادر منه وهو الذي سيق لأجله الكلام أصالة أو تبعا، ويطلق عليه المعنى العرفي للنص، أي المعنى المستفاد من مفردات الكلام وجمله[72] كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥١ )دلّت هذه الآية بعبارتها على حرمة قتل النفس.

فإذا دلّ النص بعبارته على معنى مقصود أصلا ودل على معنى آخر لم يكن مقصودا بنفسه، ولكن تبعا، كان هذا من دلالة العبارة أيضا[73] كقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٧٥ )، يفهم من الآية بدلالة العبارة معنيين، الأول: نفي المماثلة بين البيع والربا وهو المعنى المقصود الأصلي الذي سيقت لأجله الآية، وأما المعنى الثاني فهو حِلُّ البيع وتحريم الربا، وهو المعنى المقصود تبعا.

---

[71] محمد تقية، سابق، ص 202.

[72] ينظر أحمد محمود الشافعي، أصول الفقه الاسلامي، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ط1، 2002، ص 381.

[73] ينظر نفس المرجع، نفس الصفحة.

### 2.1.2- دلالة إشارة النص:

وهي دلالة اللفظ على معنى غير متبادر منه إنما هو لازم للمعنى المقصود أصالة أو تبعا[74]، فالنص لا يدل على هذا المعنى بصيغته وعبارته وإنما يشير أو يومئ إلى هذا المعنى بطريق الالتزام، يقول **الغزالي:** " قد يتبع اللفظ ما لم يقصد به (ويتنبّه له)"[75]، كقوله تعالى﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ (البقرة:٢٣٦ )، دلت الآية بعبارتها على جواز الطلاق قبل الدخول وقبل فرض المهر، وهو المقصود الأصلي من سوق الكلام، ولكن المعنى اللازم الذي يشير إليه النص أن عقد الزواج إذا لم يقدر فيه المهر فهو صحيح، ويفهم هذا بإشارة النص عقلا لأن الطلاق لا يكون إلا بعد عقد صحيح، وهذا المعنى الثاني هو اللازم من باب دلالة إشارة النص.

### 3.1.2- دلالة النص (عند الغزالي: فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده) [76]

وهي دلالة النص على ثبوت الحكم المنصوص عليه بالعبارة لوقائع أخرى تشترك مع هذا الحكم في العلة التي تفهم من دون اجتهاد[77]، إلا أن **الغزالي** يرفض كونه قياسا يقول: " إذا أردت بكونه قياسا: أنه محتاج إلى تأمل واستنباط علة، فهو خطأ"، وذلك أن القياس يكون من نفس العلة وهو هنا غير ذلك، كقوله تعالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣)، فعبارة هذا النص تدل على حرمة التأفف من الوالدين ضجرا، وعلة التحريم هي ما في التأفف من إيذاء للوالدين، فإذا قيل الضرب حرام قياسا على

[74] أحمد الشافعي، سابق، ص 283.

[75] الغزالي، سابق، ص 406.

[76] نفسه، ص 411.

[77] أحمد الشافعي، نفسه، ص 384.

التأفف "لأن التأفيف إنما هو حرام للإيذاء، وهذا الإيذاء فوقه"[78]، والصحيح عند **الغزالي** أنه "مسكوت فهم من منطوق بشرط أن يفهم أنه سبق إلى الفهم من المنطوق، أو هو معه وليس متأخرا عنه"[79]، ويسمى أيضا مفهوم الموافقة، وفحوى الخطاب .

### 4.1.2- دلالة اقتضاء النص:

يراد بها اقتضاء (مطالبة) النص دلالة اللفظ على مسكوت عنه يتوقف صدق الكلام وصحته واستقامته عليه أي على تقديره في الكلام[80]، فالاقتضاء ليس ثابتا بأصل العبارة ولكنه ثابت لأن صحة الكلام واستقامته تقتضيه بقول **الغزالي**: "المقتضى الذي هو ضرورة صدق المتكلم، كقوله عليه الصلاة والسلام: "لا صيام لمن لم يبيّت الصيام من الليل" لأنه نفى الصوم، والصوم لا ينتفي بصورته، فمعناه: لا صيام صحيح أو كامل: فيكون حكم الصوم هو المنفي، لا نفسه، والحكم غير منطوق به، لكن لابد منه لتحقيق صدق الكلام".[81]

وقد يقتضي النص تقديرا يصح به الكلام عقلا[82] كقوله تعالى:﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾(العلق: ١٧) ،فالذي يُدْعَي ليس المكان ولكن- عقلا- يُدعى من يكون فيه، لذلك قُدِّرت كلمة "أهل": (فليدع أهل ناديه).

### 5.1.2- دلالة المفهوم:

"ومعناه الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم عما عداه، ويسمى مفهوما لأنه مفهوم مجرد، لا يستند إلى منطوق"[83] كقوله تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا

---

[78] الغزالي، سابق ، ص 412.

[79] نفسه ، نفس الصفحة.

[80] ينظر محمد تقية، مختصر أصول الفقه، ص 206.

[81] الغزالي، نفسه، ص 403.

[82] محمد تقية، نفسه، ص 206.

﴿ ٩٥ ﴾ (المائدة: ٩٥)، وكقوله صلى الله عليه وسلم: " في سائمة الغنم زكاة " فتخصيص العَمْد في القتل والسوم في الغنم يدل على نفي الحكم عما عداها[84].

وتقابل دلالة المفهوم دلالة المنطوق والتي تدخل تحتها دلالة المنطوق ودلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء[85]، لأن أساسها اللفظ، فهي إما أن تأخذ من عبارته أو من إشارته وإما أن تكون من دلالة اللفظ من جهة حاجته إليها، وتتفاوت في قوة الاستدلال، فدلالة العبارة أقواها ودلالة الاقتضاء أدناها، وذلك بحسب المذاهب.

وأما الشافعية فيقسّمون الدلالة إلى: "دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، فدلالة المنطوق هي: دلالة اللفظ على شيء ذكر في الكلام ونطق به، ويقابل عند الأحناف دلالة العبارة ودلالة الإشارة والاقتضاء"[86].

وأما دلالة المفهوم: فهي دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق للمسكوت عنه لاشتراكهما في علة الحكم دون اجتهاد ويقابله عند الحنفية دلالة النص[87]، ليكون الاختلاف عند أهل الأصول في تصنيفهم للدلالات فقط في المصطلحات، وأما المضمون فواحد والغاية مشتركة.

وبالنظر إلى نظرية **غرايس** في الاستلزام الحواري، فإنه يمكن اعتبار دلالة النص (دلالة المفهوم) من قبيل دلالة الاستلزام عنده، وهي الدلالة غير الظاهرة في عبارة النص فقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣) بالقياس (حسب الأحناف) تقضي بحرمة ما هو أكثر من التأفف وبالاستلزام الحواري تعني لا تؤذيهما ولو بكلمة

---

[83] الغزالي، سابق، ص 414

[84] نفسه، نفس الصفحة.

[85] محمد تقية، سابق، ص 207.

[86] محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط01، 2004، ص54 وأحمد الشافعي، سابق، ص 389.

[87] أحمد الشافعي، نفسه ، ص 389.

"أف" ويدخل في هذا الإيذاء الشتم والتعنيف والضرب، ليكون أهل الأصول قد تفطّنوا إلى هذا النوع من المعاني، وعملوا به لفهم النصوص الشرعية.

غير أن مجال الدراسة عند أهل الأصول لم يكن نفسه عند **غرايس**، فرغم أنهم اعتبروا القرآن خطابا يصدر من متكلم هو الشارع الحكيم ويتلقاه المكلف شرعا، إلا أن المجال التواصلي هنا لا يدخل في إطار الحوار وهذه هي نقطة الاختلاف مع **غرايس**، وقد نفهم ما قام به الأصوليون أكثر حين نعرف كيف تعاملوا مع هذه الدلالات في إطار الأمر والنهي.

**2.2- الأمر والنهي عند الإمام الغزالي:**

يتضمن الخطاب عند أهل الأصول الكلام، الذي يقسم عندهم إلى: أمر ونهي وخبر واستخبار، يقول **الغزالي**: "إذا بيّنّا أن الكلام ينقسم إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ... "[88]، والكلام من حيث هو أحكام: أمر ونهي، حيث يشكلان في أصول الفقه قسمين مستقلين أفردهما الإمام **الغزالي** بفصل بأكمله.

يقول في تعريفه للأمر والنهي: " حد الأمر القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به، والنهي هو القول المقتضي ترك الفعل، وقيل في حد الأمر، إنه طلب الفعل واقتضاؤه على غير وجه المسألة وممن هو دون الأمر في الدرجة احترازا من قوله (اللهم اغفر لي) "[89]، فليس من الضرورة لكل أمر أن يوجب الطاعة، فقولنا "اغفر لي" لا يقتضي الطاعة من الله عز وجل.

وعلى هذا الأساس، يحدد الأمر والنهي عند أهل الأصول بناءً على معطيات لغوية وكذلك على معطيات مقامية، ويقتضي المقام أمرين:

[88] الغزالي، سابق، ص 119.

[89] نفسه، ص 119.

- عملية إدراج المقام في الخطاب من جهة.
- وإدراج المشاركين في هذا الخطاب من جهة ثانية (تحديد الآمر والمأمور ودرجة الأمر (الاستعلاء مثلا).

ومن ثَم فرُغم اختصار هذا التعريف إلا أنه يطرح أمورا تواصلية كالقول والآمر والمأمور و المأمور به ليكون بذلك لعلماء الأصول وعي كامل بمفهوم المقام وأهميته وإن أُطلق عليه غالبا لفظ "القرائن الخارجية" أو قرائن الأحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين. [90]

### 1.2.2- صيغ الأمر والنهي عند الغزالي:

يدل الأمر والنهي من حيث صيغتاهما "افعل" و "لا تفعل" على الأمر والنهي أصالة، وقد يرد الأمر بصيغ أخرى أيضا دالة على الأمر أصلا مثل:

" **أمرتكم بكذا**" أو "**أنتم مأمورون بكذا**"[91].

فإن قيل "**أوجبت عليكم**" أو "**فرضت عليكم**" أو"**أمرتكم بكذا**" و "**أنتم معاقبون على تركه** " فكل ذلك يدل على الوجوب[92]. ولو قيل " **أنتم مثابون على فعل كذا ولستم معاقبين على تركه** " فهو دال على الندب.

وهذا عند **الغزالي** واضح بيّن و لكن الخلاف يكمن في تحديد معنى "افعل" التي إذا أدخلت عليها قرائن دلّت على معان أخرى حدّدها الغزالي في خمسة عشر وجها:

كالوجوب في قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٤٣﴾ ﴾(البقرة: ٤٣) .

والندب في قوله ﴿ فَكَاتِبُوهُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾(النور: ٣٣).

والإكرام في قوله تعالى:﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الحجر: ٤٦)

---

[90] ينظر الغزالي، المستصفى، ص 31

[91] نفسه، ص 128.

[92] نفسه، نفس الصفحة.

والتهديد في قوله ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (فصلت: ٤٠)

والإهانة في قوله: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الدخان: ٤٩ )،إلى غير ذلك[93].

وأما النهي بصيغة "لا تفعل" فكذلك يخرج من معناه الأصلي إلى معان فرعية وضعها **الغزالي** في سبعة أوجه.

كالتحريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٣)

والدعاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩٤).

والإرشاد في قوله تعالى :﴿ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴿١٠١﴾ ﴾ (المائدة: ١٠١)

يقول **الغزالي**: "لابد من البحث عن الوضع الأصلي في جملة ذلك ما هو، والمتجوز به ما هو "[94]، والقرائن هي التي تساعد على التفريق بين المعنى الأصلي و المعنى الفرعي، فإن قال أحد لآخر "**أحضر لي ماء أو طعاما**"، فإن كان الأمر من السيد إلى الخادم (الاستعلاء) فهو للوجوب، وإن كان من مطلق شخص فهو لإرادة الامتثال فقط، فإن كان أمرا لثواب الآخرة كان ندبا، وإن كان للتنبيه على المصلحة الدنيوية فهو إرشاد. وينظر أهل الأصول إلى القرينة الهادية إلى المعنى الفرعي أنها عبارة عن لزوم، لأن الذهن في الأمر –مثلا– ينتقل إلى المعنى الفرعي عندما يحصل له اقتناع بأن المعنى الحقيقي غير مراد، ويذهب به إلى التهديد أو التعجيز أو التمني...

[93] للاطلاع على مزيد من الأمثلة، ينظر الغزالي، ص 129-131.

[94] نفسه، ص 131.

لأن إيجاب الشيء يستلزم التخويف عن مخالفته وإيجاب شيء لا قدرة عليه يستلزم التعجيز، وطلب شيء لا إمكان له يستلزم التمني ... [95]

وينطبق الأمر مع النهي باعتبار وجود صيغة أصلية "لا تفعل" تخرج إلى معاني فرعية، يقول **الغزالي:** "اعلم أن ما ذكرناه من مسائل الأوامر، تتضح به أحكام النواهي... فلا حاجة على التكرار" [96]

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا العرض المقتضب لنظرة أحد علماء أصول الفقه لثنائية الأمر والنهي، أن اهتمامهم انصبّ على الصيغة ومضمونها بالإضافة إلى قرينة اللفظ وقرينة الحال والذي ينتج عنه الإقرار بوجود دلالة أصلية للصيغة في مقابل دلالات أخرى فرعية تُستفاد من المقام الذي ترد فيه، ليكون بذلك الأصوليون على وعي تام بوجود معان صريحة ومعان مستلزمه وذلك واضح من خلال تقسيماتهم للدلالة (دلالة العبارة، الإشارة، النص، المخالفة، الاقتضاء)، ولكن ما يلاحظ أيضا أنهم لم يضعوا القواعد الضابطة لهذه الظاهرة اللغوية، والمبادئ التي تحكم العلاقة بين المعنى الأصلي (الحقيقي) والمعنى الفرعي (المستلزم)، وإنما اكتفوا بربط العملية ككل بما سيق إليه الكلام بالإضافة إلى القرائن، لتتولد عن دراساتهم في علم الأصول مصطلحات مهمة كالمعنى الأصلي، والقرائن الصارفة، قرينة اللفظ، قرينة الحال... في حين نجد أصحاب النظريات التداولية الحديثة فصّلوا في الظاهرة (سيرل، غرايس) وبينوا كيفية الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المستلزم عن طريق الاستدلال الذي يقوم على قواعد يخضع لها الخطاب، وكان **غرايس** أهم من بين ذلك في نظرية كاملة سماها "الاستلزام الحواري" (Implicature conversationnelle).

[95] ينظر العياشي أدراوي، من الاستلزام الحواري إلى التداول اللساني، ص 53-54.

[96] الغزالي، سابق، ص 198.

# الفصل الثاني

# نظرية غرايس في الحوار.

تمهيد

1 . المفاهيم الجديدة في نظرية غرايس.

1.1مفهوم الدلالة غير الطبيعية.

2.1 تمييزه بين الجملة و القول.

3.1 الاستدلال غير البرهاني.

**2.** الاستلزام الحواري و مبادئ الحوار عند غرايس

1.2 مبدأ التعاون و قواعد الحوار الأربعة.

2.2 التمثيل الواقعي لقواعد الحوار.

3.2 الاستلزام العرفي/ التواضعي.

4.2 الاستلزام الحواري /غير العرفي.

1.4.2 الاستلزام الحواري المعمم.

2.4.2 الاستلزام الحواري الخاص.

5.2 الفرق بين الاستلزام الحواري و الاستلزام العرفي.

1.5.2 قابلية الإلغاء.

2.5.2 قابلية الانفكاك.

3.5.2 إمكانية تحديد المعنى.

4.5.2 التواضعية.

5.5.2 الارتباط بالتلفظ.

6.2 كيف يحدث الاستلزام الحواري؟

1.6.2 احترام قواعد الحوار.

2.6.2 خرق قواعد الحوار.

1.2.6.2 وجود تعارض بين قاعدتين.

2.2.6.2 خرق غير متعمد لإحدى القواعد الحوارية.

3.2.6.2 خرق متعمد لقاعدة من قواعد الحوار.

3.6.2 استغلال القواعد الحوارية.

**3.** حدود قواعد غرايس والقواعد التهذيبية.

1.3 مبدأ التهذيب.

2.3 مبدأ التواجه.

3.3 مبدأ التأدب الأقصى.

4.3 مبدأ التحقيق واعتبار الصدق والاخلاص.

5.3 شروط الخطاب الفاعل.

1.5.3شروط النص الاستدلالي.

5.3. 2 شروط التداولي اللغوي.

**4.** بين سيرل و غرايس و مسألة الأفعال اللغوية غير المباشرة و الاستلزام الحواري.

**5.** نظرية الملاءمة /الحصافة لسبربر و ولسن.

**تمهيد:**

كانت الفلسفة منذ عهد **أرسطو** تحاول الإجابة عن بعض التساؤلات المتعلقة باللغة كمسألة معنى الجمل و كيفية التوصل الى فهم الرسائل اللغوية... و خلال القرن 19 م أخذ عدد من الرياضيين الفلاسفة على عاتقهم دراسة اللغة باستخدام المنطق الرياضي من أمثال **فريجه** (***Frege***) و **رسل** (**Russel**) و **كارناب** (**carnap**)، غير أن دراستهم كانت تهدف إلى إيجاد لغة اصطناعية منطقية تتسم بالدقة و الوضوح في مقابل اللغات الطبيعية التي تتميز بالغموض و التعقيد( و عُرفت **بالفلسفة التحليلية**). ومع حلول الخمسينيات من القرن 20 م ، ظهرت موجة فكرية جديدة حوَلت اهتمام فلسفة اللغة من المنطق إلى اللغات الطبيعية في الاستعمال اليومي. قاد هذا التوجه فلاسفة أنجلو ساكسونيون من أمثال فتجنشتين (**ludwing Wittgenstein) (1889-1951**) في مرحلة فكره الثانية في كتابه " بحوث فلسفية" ( **Philosophical investigations)** ، و **أوستن** (**John**.L.**Austin**)(**1911-1960**) من مدرسة أكسفورد، و سيرل (**John.R.Searle 1932**) و غرايـس (**Paul Herbert Grice**) (**1913-1988**) و ستروسن (**Strawson Peter .F 1919**) وغيرهم، فظهرت عدة مقاربات تداولية تم من خلالهاال توصل إلى أن وظيفة اللغة لا تقتصر فقط على وصف الواقع، و إنما تتجاوز ذلك إلى وظائف أخرى كالقيام بفعل (أوستن). وبحث **فتجنشتين** في المعنى فوجده غير ثابت أو محدّد و إنَّما مرهون بالاستعمال، كما توصلت هذه المقاربات إلى فرضية مفادها أن " استعمال اللغة في الخطاب اليومي محكوم بمبادئ عامة"[1]، و اقترحت هذه الفرضية من قبل **غرايس** الذي تحدّث لأول مرة عن مبادئ يخضع لها الحوار وقدم مفاهيم جديدة تتعلق بالتواصل اللغوي هي:

- مفهوم الدلالة غير الطبيعية.
- التمييز بين الجملة و القول.

[1] Jaques Moeschler ,Anne Reboul, Dictionnaire Encyclopédique de pragramatique , Edition du seuil , 1994, p 201.

- الاستدلال غير البرهاني.
- مبدأ التعاون و قواعد الحوار المتفرعة عنه.
- الاستلزام الحواري.

## 1.المفاهيم الجديدة في نظرية غرايس.[2]

### 1.1 مفهوم الدلالة غير الطبيعية: (signification non naturelle)

ميّز غرايس بين نوعين من الدلالة انطلاقا من الفعل "**to mean**" في الانجليزية و الذي يحمل دلالتين: أشار و قصد[3]، فالدلالة الطبيعية (أشار) تتعلق بالظواهر التي ترتبط بعلامات تدل عليها، فهي علاقة سبب و نتيجة و لا يمكن معرفتها دون اللجوء إلى الاستدلال عليها، ذلك أنه لكل من الظاهرة و العلامة وجود مستقل[4].

و مثال ذلك: **رؤية الدخان تدل على وجود النار.**

---

[2] هربرت بول غرايس (Herbert Paul Grice) هو فيلسوف لغة، ولد في 13 مارس 1913 في برمنغهام Bermingham، انجلترا، المملكة المتحدة، درس في أكسفورد و درّس هناك الى غاية 1967 ليرحل بعدها الى الولايات المتحدة الامريكية للحصول على درجة الأستاذية في جامعة كاليفورنيا وليدرّس فيها إلى غاية وفاته سنة 1988. ينتمي غرايس الى مدرسة اكسفورد المتأثرة بفلسفة فتجنشتين، تأثر بأستين الذي ينتمي بدوره الى فلسفة " اللغة العادية"، فكلاهما كان مهتما بالطريقة التي تعبر فيها اللغة الانسانية عن المعاني كطريقة لفهم طبيعة الفكر و المنطق و التخاطب، هذا الاخير (التخاطب) الذي يعتبر لب الدراسات التداولية التي تربط اللغة بمستعمليها، ومع ذلك لم يشر أي منهما الى هذا المصطلح في دراسته.

كان غرايس مثل أوستن يقدم شروحا لمحاضرات وليام جيمس. لُخصت محاضراته في مقال سنة 1975 بعنوان " المنطق و المحادثة"« Logic and conversation » .

كتب مقالا سنة 1948 من أشهر مقالاته بعنوان "**meaning**" "المعنى" ، الذي يحمل أهم نظريات غرايس في المعنى و قد نشر سنة 1957 يضاف إلى هذا مؤلفاته:

- **Studies in the way of words**
- **Utterer's meaning and intention** سنة **1969**.
- **The concept of value**، نشر سنة **1991**.
- **Aspects of meaning**، نشر سنة **2001.**

[3] Martine Bracops : Introduction à la pragmatique, les théories fondatrices : actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégreé, Edition université, Bruxelles , 2006, 1ere ed, p 91.

[4] Ibid, p 92.

**ووجود السحاب الكثيف يدل على أنها ستمطر.**
**ورؤية البقع الحمراء على الجسم دليل على الحساسية.**

ولتوضيح الفرق بين الدلالة الطبيعية و الدلالة غير الطبيعية، يقارن غرايس هذه الأمثلة بأمثلة أخرى من قبيل:

-**أرضية غرفتك سلة مهملات**، و المقصود أن غرفتك غير نظيفة.

- **إني أمشي مع سلحفاة**، و المقصود: إنك بطيء جدا، أسرع.

-**كأنك تكتب بقدميك**، و تعني خطك رديء و غير مفهوم.

هذه الأمثلة تحمل دلالات غير طبيعية و يأخذ الفعل "to mean " هنا معنى قَصَدَ. حسب غرايس حين يتلفظ المتكلم بجملة ما فإنه يبلِّغ شيئا من خلال تركيب هذه الجملة و في الوقت ذاته "يقصد شيئا آخر و يحاول من خلاله التأثير في مخاطَبه"[5]، ومن ثمّ يدفع هذا المخاطب إلى القيام بجملة من الاستنتاجات من أجل التوصل إلى معرفة مقصده. و بفهم المتلقي لنوايا المتكلم يمكن القول بأن عملية التواصل(الحوار) ناجحة.

أراد **غرايس** بمفهوم الدلالة غير الطبيعية الإشارة إلى خصوصية التواصل اللغوي، فدلالة أي جملة مرتبطة بقصد المتكلم، و هذا ما يميزها عن الدلالة الطبيعية المتعلقة ببعض الظواهر الموجودة في الطبيعة و المحكومة بعلاقة السببية.

يقسِّم **غرايس** بدوره الدلالة غير الطبيعية إلى نوعين: الدلالة التي نتوصل إليها عن طريق وسيط إشاري مباشر و مثال ذلك الحصول على علامة منخفضة في الامتحان النهائي يعني الرسوب. [6]

و النوع الثاني " يتعلق بالدلالة التي نتوصل إليها عن طريق إشارة غير صريحة تسمح للآخرين باستنتاج ما يريد المتكلم إبلاغه"[7] ومثال ذلك: الحصول على علامة غير مؤهلة للانتقال إلى الصف التالي تتناسب و الملاحظة التالية: تلميذ / طالب

[5] Jacques Moeschler, Antoine Auchelin, Op.Cit ,p 165
[6] Voir Marie Anne Paveau, George Elia Sarfati : les grandes théories de la linguistique, de la grammaire comparée à la pragmatique, Armand Colin/ V4EF, 2003, p216.
[7] Ibid

موهوب في الكتابة / الخط، و عليه فالتوصل إلى قصد المتكلم يبقى مرتبطا بعملية الاستدلال التي يقوم بها المتلقي، قد ينجح كما أنه قد يخفق.

و من هنا فالدلالة غير الطبيعية تبرز قصدين للمتكلم، قصد التواصل و قصد الإبلاغ، يحاول المتلقي إدراكهما في وقت واحد، وهو ما جعل غرايس يميز بين الجملة (la **phrase**) و القول (**l'énoncé**).

### 2.1 تمييزه بين الجملة و القول:(phrase et énoncé)

اقترح **غرايس** مقاربة في إنتاج الجمل و تأويلـها، فوجد أن تأويل جملة ما كثيرا ما يتجاوز الدلالة التي نعزوها إليها بالمواضعة. و لتوضيح مقاربته هذه يقدم مثالا نسرده كالآتي:

لنفترض أن (ل) و (م) يتحدثان عن صديقهما المشترك (ج) و الذي يعمل الآن في بنك، يسأل (ل) عن أحوال (ج) في عمله في البنك.

فيجيب (م): "في حال جيد، أظنه في تناغم جيد مع زملائه، و لم يدخل السجن بعد"[8]

في تعليقه عن الحوار يستعمل غرايس كلمات مهمة " أظن من الواضح أنه مَهْما كان (م) (المتكلم) **يقصد، يوحي، يعني**... فهو يتميز عمّا قاله، أي " لم يدخل السجن بعد"[9].

استعمل **غرايس** " يقصد، يوحي، يعني" ليصف ما أراد (م) قوله أو ما قصد قوله أو ما تضمنه (استلزمه) قوله، و يكون غرايس قد ميز بين "ما قال" و "ما أراد قوله".

يقول في مقاله: " عندما أستعمل الفعل "قال" (dire)، فإني أجد العلاقة وثيقة بين ما قيل (ce qui est dit) و المعنى التواضعي للكلمات المكونة للجملة المتلفظ بها... إن الطريقة التي أتعامل بها مع الفعل "قال" هنا لا يمكن أبدا أن توصلني إلى معرفة ما إذا كان الشخص الذي يقول " هارولد ولسن رجل رشيد" و الذي يقول " رئيس وزراء بريطانيا رجل رشيد" يقصدان الشيء نفسه"[10]،" فما قيل يتعلق بالمعنى العرفي للكلمة

[8] Grice : Logic and conversation ,Op.Cit, p 43.
[9] Ibid.
[10] Ibid, p 44.

أو الجملة التي قيلت"[11] ، وهو سلسلة من الكلمات تستعمل و تفهم بمعناها المعجمي و التي لا تتغير بتغير الظروف التي أنتجت فيها (و تدرس في إطار اللسانيات). و هذا المفهوم عرف من قبل في فلسفة اللغة بالدلالة أي " المعنى و المرجع" و هو خاضع لشروط الحقيقة، أما ما يودُّ المتكلم فعلا قوله فهو القول(**l'énoncé**) و هو حاصل التلفظ بالجملة، و هو يتغير بتغير السياقات التي أنتج فيها (و يدرس في إطار التداولية).

لنفترض حارسا في امتحان يعلن للطلبة الممتحنين: **الساعة الثانية عشر / منتصف النهار**، ما تعنيه الجملة " الساعة الثانية عشر" هو إعلان الوقت و إن اختلفت الظروف التي تقال فيها هذه الجملة فإن المعنى لا يتغير، أما المقصود من القول أو ما يريد المتكلم إبلاغه للمستمعين فهو" **انتهى وقت الامتحان و عليكم تسليم أوراق الامتحان**".

غير أنه من أجل التوصل إلى المعنى المقصود، " يجب معرفة **(1)** المتكلم، و **(2)** لحظة النطق بالقول أو الظروف المحيطة بالقول، و **(3)** دلالة القول" [12]، هذا يعني أنه في سياقات مختلفة، يختلف معنى الجملة فتصبح " **الساعة الثانية عشر**" تعني" انتهت حصة اليوم"(في مدرسة يقولها الأستاذ أو الطلبة، أحدهما للآخر)، و تعني " وصلت متأخرا" (في حالة تأخر أحد عن موعد كان قد حدد على الساعة **11:30**)، و تعني " أنا جائع" (الولد لأمه وقت الغداء) ...

إن نظرة **غرايس** للغة بهذا الشكل فتحت الباب للحديث عن مجال ساعد فيما بعد في تطور التداولية هو: التداولية المعرفية (سبربر و ولسون) و التي لا تدرس الكفاءة اللسانية لدى المتكلم (معرفته للغة)، ولكن معرفة المتكلم لاستعمال اللغة في سياقات مختلفة، كما أن تفريقه بين الجملة و القول مهد له الطريق للحديث عن الاستلزام الحواري المحكوم بقواعد مختلفة و المبني على أساس الاستدلال.

[11] Grice : Logic and conversation ,Op.Cit,P44
[12] Ibid.

### 3.1. الاستدلال غير البرهاني عند غرايس:(inférence non démonstrative)

وجهت بحوث غرايس الدراسات اللغوية نحو العلوم الإدراكية، حيث أدخل على عملية فهم الجمل مفهومين، يتمثل المفهوم الأول في الحالة الذهنية لدى المتحاورين أي مقاصدهم أثناء عملية التواصل، و يتمثل المفهوم الثاني في قدرة المتلقي على تأويل الأقوال[13]، بمعنى القيام بعملية الاستدلال من أجل الوصول إلى معرفة مقاصد المتكلمين. وقد رهن غرايس نجاح الحوار /المحادثة أو عملية التواصل بهاتين القدرتين خاصة الثانية، إضافة إلى ذلك فقد أعطى أهميةً بالغة لسياق المحاورة و مقامها، حيث اعتبرهما عاملين أساسيين لتأويل الأقوال تأويلا صحيحا و بالتالي نجاح المحادثة.

و من هنا فإن عملية التأويل تستند على الاستدلال(Inférence) ، غير أن الاستدلال عند غرايس يختلف عن الاستدلال البرهاني (Inférence démonstrative)، حيث يعرّفه المناطقة بأنه العملية المنطقية التي تنطلق من عدد معين من المعلومات (المقدمات المنطقية) لتصل إلى نتيجة أو نتائج جديدة، و تتميز هذه العمليات بأن إذا كانت المقدمات صادقة، فإن النتيجة أو النتائج المستخلصة منها تكون صادقة. فإذا قلنا " كل إنسان فان"، "سقراط إنسان" "إذن سقراط فان" فإن صدق المقدمات هنا يؤدي إلى صدق النتيجة، هي إذن عملية استنتاج برهانية تولى المنطق منذ أرسطو إلى يومنا هذا استخراجها و صياغة أنساق لها صياغة صحيحة، حيث يضمن صدق المقدمات صدق النتائج.

غير أن بعض الأنساق الاستدلالية البرهانية غير صحيحة، ذلك أنها تنطلق من مقدمات صحيحة لتصل إلى نتيجة أو نتائج خاطئة، أو تنطلق من الخطأ لتصل إلى الصواب كقولنا:

1-كل **الحيوانات الولودة لديها أربعة أطراف** (خطأ).

- **البالان حيوان ولود** (صحيح).

[13] voir Martine Bracops,Introduction à la pragmatique, p 67.

إذن: **البالان لديه أربعة أطراف** (خطأ)[14].

2-لو **تحصل الرسام بيكاسو على جائزة نوبل لأصبح مشهورا** (صحيح)

- **بيكاسو لم يتحصل على جائزة نوبل** (صحيح)

إذن: **بيكاسو ليس مشهورا** (خطأ)[15].

ورد في مقال **غرايس** ما يلي: "هناك اختلاف واضح بين ما نسميه الرموز /الأشكال المستعملة في اللغة الاصطناعية، وبين ما يقابلها في اللغات الطبيعية... إن ما يشغل المناطقة هو تشكيل نماذج صحيحة للاستدلال، و تعتبر الرموز الأقرب للتعبير عن تلك النماذج، و هي من وجهة نظر فلسفية أفضل من اللغات الطبيعية التي تتميز باللبس. هذه الأخيرة لا يمكن فهمها دائما على أساس شروط الحقيقة ."[16].

يرى المناطقة أن اللغة المثالية التي يبحثون عنها هي الأصلح للتعبير عن المسائل العلمية من حيث أنها تتطلب الدقـة و الوضـوح و تتميز بخضـوعها لـشروط الحقيقة، و يستبعدون اللغات الطبيعية التي تتميز باللبس و لا تصلح للتعبير عن المسائل العلمية الدقيقة و لأنها تحمل الكثير من التضمينات فيضيع المعنى المقصود في تعابيرها.

بيد أنه توجد أنواع من الاستدلالات لا يعبر عنها بواسطة الرموز، و لكن باستعمال اللغات الطبيعية. و لم يتم حسب **غرايس** لفت الانتباه الى طبيعة و أهمية الشروط التي تحدد ممارسة الحوار[17]، ومن أهم هذه الشروط عملية الاستدلال التي يقوم بها المتلقي للوصول إلى معرفة مقصد المتكلم و الذي يعتمد على اللغات الطبيعية لا على الرموز المنطقية و هو ما لم يلتفت إليه المناطقة.

و هكذا يظهر نموذج **غرايس** في الاستدلال متمايزا تماما عن الاستدلال البرهاني للمنطق الكلاسيكي حيث "يتم عنده استنتاج الاستلزام الحواري عن طريق صياغة

[14] Voir Martine Bracops, Introduction à la pragmatique ,P95 بتصرف
[15] Ibid.
[16] Grice,Logic and conversation ,Op.Cit,p 58.
[17] Ibid.

الفرضيات ومحاولة إثباتها"[18] و تتوقف عملية نجاح التواصل أو إخفاقه على نجاح عملية الاستدلال أي على صحة الفرضيات أو عدم صحتها بناء على فهم الأقوال أو سوء فهمها، ويعود سوء الفهم إلى عدم صحة فرضية واحدة من هذه الفرضيات و الذي يفضي إلى عدم صدق النتيجة و مثال ذلك:

- **يقوم الرئيس المغربي بتعديل وزاري جديد.**

قبل التفكير في الاستلزام الذي يحمله هذا القول، وهو استقلال الحكومة السابقة و الإعلان عن تشكيل وزاري جديد، نقف عند حدود المقدمة التي تقول بوجود رئيس للمغرب و هو ما لا يصدق على الواقع (فرضية خاطئة) نظرا لوجود ملك، فعدم صدق مقدمة واحدة هنا كفيل بتكذيب النتيجة، و يؤدي إلى بطلان الاستلزام أو إلغائه.

يضمن استدلال **غرايس** ارتباط صدق أو كذب المقدمات بصدق أو كذب النتائج، حيث إن درجة صدق النتيجة لا تقل أبدا عن درجة صدق المقدمات، كما أنه لا يمكن لمقدمات خاطئة أن تؤدي إلى نتيجة صحيحة، ما لا يضمنه نموذج **غرايس** هو صدق المقدمات (لأنه راجع إلى المخاطب و قدرته على الفهم)، و الذي ينتج عن سوء الفهم و أخطاء لدى المتحاورين و بالتالي يؤدي إلى إخفاق عملية التواصل في حد ذاتها.

هناك سبب آخر لعدم نجاح المحاورة و هو" عدم الاتفاق بين المتكلم و المتلقي فيما يخص مقدمة من المقدمات، و في هذه الحالة لا نقول بخطأ المقدمة و لكن نقول إنها غير ملائمة"[19]، فالمتخاطبون يشتركون في هذه المقدمات، و يتفقون في شأن صدقها أو كذبها. و في حالة عدم الاتفاق، وباعتبار أن عملية الاستدلال تهدف إلى معرفة مقصد المتكلم، فإن المقدمات أو ما يفترضه المتلقي قد يتفق مع مقصد المتكلم كما قد يختلف عنه.

ولنعتبر هذه المحاورة:

[18] جاك موشلار، آن روبول، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، المنظمة العربية المترجمة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2003، ص 63.

[19] Martine Bracops, Op.Cit,p 95

**أ.أتريد شرب الشاي؟**

**ب.الشاي يمنعني من النوم**[20].

في هذا المثال توصل (أ) إلى أن (ب) يقصد أنه لا يرغب في شرب الشاي. و ليكن استدلاله على النحو التالي:

يستوجب على (ب) الاستيقاظ باكرا في الصباح، عليه إذن النوم باكرا. لذلك فهو لا يرغب في شرب الشاي، و يخرق قاعدة العلاقةّ/ المناسبة، حيث أنه لا يجيب مباشرة عن سؤال (أ).

و الواقع أن (ب) لا يقصد أبدا ما توصل إليه (أ)، فخلافا لذلك، لا يرغب (ب) في النوم باكرا، بل يريد مشاهدة فيلم يعرض في ساعة متأخرة من الليل، إذن فهو يريد الشاي.

وعليه، و بما أن (أ) و (ب) لم يتفقا بشأن المقدمة، فإن النتيجة التي توصل إليها (أ)، ليست تماما ما استلزمه قول (ب).

**2.الاستلزام الحواري و مبادئ الحوار عند غرايس:**

يعتبر مفهوم الاستلزام الحواري أهم ما جاء به غرايس في نظريته التي شرحها في مقاله "المنطق و المحادثة" المنشور سنة **1975** (النسخة الفرنسية **1979**)، حيث لاحظ غرايس أن بعض الأقوال تعني أكثر ممّا تعنيه الكلمات المشكِّلة لها، وهو ما أشار إليه في تفريقه بين ما يقال و ما يتضمنه القول: "فما قيل يوافق المحتوى القضوي للجملة، و المرتبط بشروط الحقيقة، أما الاستلزام فيعني أكثر ما يعنيه تركيب الجملة و غير المشروط بشروط الحقيقة" [21].

ولنبيّن أكثر الفرق بين الأقوال الخاضعة لشروط الحقيقة (**véricondionnels**) و الأقوال غير المحكومة بشروط الحقيقة ( **non véricondionnels**) نأخذ المثالين التاليين:

[20] ينظر جاك موشلار و آن ربول، التداولية اليوم، ص64.

[21] Jacques Moeschler, Anne Reboul,Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Op.Cit, p 251.بتصرف

1-**أحمد عالم لسانيات.**

2-**يد هشني أن أحمد عالم لسانيات**[22].

لكي تكون القضية المحتواة في القول (1) صحيحة يجب أن يكون أحمد عالم لسانيات حقا (في الواقع)، أما في المثال (2) فـيمكن جدا أن تكـون القضية خاطئـة، و نعتبر الجملة كلها صحيحة إذا كان **أحمد عالم لسانيات** أمرا مدهشا فعلا[23].

فلا يمكن إخضاع المثال (2) لشروط الحقيقة و بناء صحة هذا القول أو عدم صحته على هذا الأساس، لأن القول يستلزم معنى آخر غير المعنى القضوي، كأن يكون مثلا:

- معرفتي بأحمد و بمستواه العلمي تجعلني لا أصدق أنه وصل إلى هذه الدرجة العلمية، أو أنه لا يستحقها.

ولوصف ظاهرة الاستلزام الحواري يقترح **غرايس** مجموعة من القواعد يعدّها ضابطة لكل تبادل لغوي، وهذه القواعد يحكمها مبدأ عام هو "مبدأ التعاون".

## 1.2مبدأ التعاون و قواعد الحوار الأربعة: (principe de coopération et maximes de conversation)

يرى غرايس أن نجاح التبادلات الخطابية يرجع -إلى حد ما – إلى مدى تعاون المتحاورين الذين يشتركون -إلى حد ما دائما – في هدف واحد لهذه المحاورة أو أهداف مشتركة، أو وجهة خطاب متفق عليها إما منذ بداية التبادلات عن طريق طرح سؤال مثلا، أو يظهرذلك أثناء عملية التبادل الحواري. و قد تكون وجهة الخطاب واضحة محددة، كما قد تكون غير محددة لترك حرية التعامل للمتحاورين كما هو الحال في

[22] Jacques Moeschler , Anne Reboul,Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique,Op.Cit, P252.بتصرف

[23] Ibid

الحوارات اليومية الفجائية (غير المخطط لها)[24]. فإذا انعدم الهدف المشترك " لن يكون ثمة سبب للتواصل، و قد لا يتم التواصل على الأرجح"[25].

ويقصد **غرايس** بمبدأ التعاون: " اجعل مساهمتك موافقة لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تشارك فيه في المرحلة التي تتدخل فيها " [26]، يفترض **غرايس** أن المتخاطبين لا يجنحون إلى التبادلات الكلامية إلا و هم يسلّمون بالتعاون فيما بينهم لإنجاح هذه التبادلات و تحقيق الأغراض التي راموها من خلال ذلك. و هذا لا يتم إلا ببذل كل طرف من الأطراف جهدا، و بكيفية عقلانية لتيسير تأويل أقواله و بشكل ضمني. " يمكن لمبدأ التعاون أن ينظّم التواصل، أي نوعاً من السلوك العقلاني للفرد، كما يُؤسس مبدأ التعاون داخل التبادل الحواري حول مقاصد المشاركين، و هذه المقاصد ليست في الواقع صريحة بين أطراف التبادل، و الحال أنها عناصر خفيّة تُعتمد في شكل اتفاق ضمني من قبل المتخاطبين الذين يسهرون على مجرى التواصل الحسن"[27].

ويمكن توضيح مبدأ التعاون في أعم صوره من خلال عرض لقواعد الحوار الأربعة الأساسية و هي قاعدة: الكم و الكيف / النوعية و العلاقة / المناسبة و الطريقة/ الكيفية.[28]

### 1- قاعدة الكم: (Maxime de quantité)

يقصد منها الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة و تتفرع إلى:

أ. لتكن إفادتك للمخاطب على قدر الحاجة.

ب. لا تجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب.

---

[24] voir Grice,Logic and conversation, p 43-44.

[25] فيليب بلانشيه، التداولية من أستين إلى قوفمان، تر: صابر الحباشة و عبد الرزاق الجمايعي،عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2012،ص63.

[26] Grice:Logic and conversation,Op.Cit, p 44.

[27] جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية و آدابها، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1992، ص 33.

[28] Grice ,Ibid, p 45-46.

**2- قاعدة الكيف / النوعية: (Maxime de qualité )**

يقصد منها منع ادعاء الكذب أو إثبات الباطل و تتفرع إلى:

أ. لا تقل ما تعتقده خطأ.

ب. لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

**3- قاعدة العلاقة/ المناسبة/الملاءمة: (Maxime de relation )**

الهدف منها منع المتكلم من أن ينحرف إلى مقاصد أخرى غير التي استهدفها الخطاب و تقول هذه القاعدة ما يلي:

ليكن كلامك مناسبا لموضوع الحوار.

**4-قاعدة الطريقة / الكيفية: (Maxime de manière )**

تختلف عن القواعد السابقة كونها لا تتعلق بما قيل، بل بما يراد قوله و الطريقة التي يجب أن يقال بها، و الهدف منها تجنب الاضطراب و الملل. و ترتبط عموما بالقاعدة الأساسية "كن واضحا" و التي تتفرع إلى ما يلي:

أ. تجنب الالتباس.

ب. تكلم بإيجاز.

ج. كن منظّما /مرتّبا.

د. تجنب الغموض.

و لكي نوضح هذه القواعد نسوق الأمثلة الآتية:

**1) الزوج: أين مفاتيح السيارة؟**

**الزوجة: على المائدة.**

في هذا الحوار القصير تتحقق مبادئ الحوار كلها، تبدو الزوجة متعاونة فلقد أجابت إجابة واضحة (الطريقة)، و كانت صادقة (النوعية)، و استخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون أن تزيد (الكم)، و أجابت إجابة ذات صلة بالسؤال (المناسبة) و لذلك لم يتولد عن قولها استلزاما.

2) أ: **هل تريد إمضاء عارضة ضد بيع المخدرات و استهلاكها؟**

**ب: لا شكرا.**

كذلك في هذا الحوار، يحترم (ب) مبدأ التعاون، فقد قدم إجابة على قدر السؤال بلا زيادة (الكم)، واضحة لا لبس فيها (الطريقة)، و على علاقة مباشرة بالموضوع (المناسبة)، و صادقة دون الحاجة إلى برهان (النوعية).

تحدث الباحثون بعد غرايس عن قوانين الخطاب و تغيرت تسمياتها من باحث لآخر علما أن أسسها ثابتة. و يمكن أن نحدد ثلاثة مباديء أساسية عامة للحوار" اعتمادا على تقسيم **أوركيوني** و الذي اعتمده **مانغينو** بعد ذلك"[29]

**1.مبدأ التعاون:** هو مبدأ ذو مصدر اجتماعي و أخلاقي، يضمن للمتكلمين التواصل و التناوب على المحاورة و عدم انقطاعها. و يضم هذا المبدأ أربعة قواعد هي: الكم و الكيف و الملاءمة و الكيفية.

**2.مبدأ الملاءمة (Principe de pertinence):** إنه المبدأ الذي تنتظم حوله القوانين الأخرى، لأنه يتعلق بالفائدة التي يجنيها المستمع من القول بغض النظر عن كونه مخبرا أو غير مخبر، لذا سماه سبربر **بقانون الإفادة**[30]، فهو يثري معلومات المخاطَب و يجعله يعدّل في مدركاته و معلوماته. و تقويم الملاءمة يعود للمتلقين، فهم يحكمون على مدى ملاءمة القول من خلال معارفهم، و تنجر عنه نتائج عملية، و مثال ذلك:

- **ستمطر السماء هذا المساء**[31]، هذا كلام إخباري من جهة و مفيد إذا أحضر المخاطَب مظلته أو التزم عدم الخروج و إلا كان الكلام لا معنى له.

---

[29] قدور عمران، سابق، ص71.

[30] ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2003، ص103.

[31] نفسه، ص 104.

**3.مبدأ الصدق (Principe de sincérité):** يتمثل في قول الحقيقة كما هي في الواقع أو كما يتصورها المتكلم انطلاقا من تصوره للواقع[32]، فلا يثبت إلا ما يعتبره صدقا، و لا يستفهم عن شيء إلا و هو يرغب فعلا معرفة الإجابة عنه...

إلى جانب مباديء الحوار الثلاثة السابقة يمكن إضافة قوانين خاصة تتعلق بمضمون القول و هي كالآتي:

**1.قانون الإخبارية (la loi d'informativité):** و "الإخبار هو عملية متمثلة في رغبة المتكلم في تمثيل الفكر و تجسيده ليكون معروفا و مدركا عند الآخر"[33]، فهو تزويد المخاطب بالمعلومات التي يجهلها، و يمنع قانـون الإخبارية زيادة العبارات و الحشو إلا في حالات كتذكير المخاطب الشارد بما نسي، غير أن هذا القانون لا يعد أساسيا كون الخطاب مرتبط بالإفادة، سواء كان الكلام مخبرا أو غير مخبر.

**2.قانون الشمول(la loi de l'exhaustivité)** : يرتبط هذا القانون بقانون الإخبارية، لأن الشمول يكون عند الإخبار، و هو توفير المتكلم للمخاطَب كل المعلومات اللاّزمة التي بحوزته و التي من شأنها أن تنفعه[34]. و يمكن خرق هذا القانون بطريقتين: الأولى تتمثل في الصمت، و الثانية عن طريق إخفاء نصيب من المعلومات عن الموضوع.

**2.2 التمثيل الواقعي لقواعد الحوار:**

لتوضيح القواعد الحوارية و ما يُنتظر تحقيقه من خلالها أثناء عملية التبادل الحواري، يقدم غرايس ما يعادلها في الحياة اليومية من خلال ما يحتاجه أي شخص من مشاركته في أي فعل يقوم به (خارج التبادل الحواري)، و فيما يلي أمثلة عن القواعد الأربعة[35]:

[32] عمر بلخير، سابق، ص 106.
[33] نفسه، ص108.
[34] نفسه، ص110.
[35] Grice :Logic and conversation,Op.Cit, p 47

**1.الكمية:** إذا كنت تساعدني في تصليح سيارتي، فأنا أنتظر أن تكون مساهمتك بقدر ما هو مطلوب لا أكثر و لا أقل من ذلك. فإذا احتجتُ إلى أربعة براغي، فأنا أنتظر منك أن تعطيني أربعة براغي ليس اثنين و لا خمسة.

**2.النوعية:** يُنتظر أن تكون مساهمتك حقيقية، فإذا احتجت زيتاً للسيارة، فأنا لا أنتظر منك ماءً أو بنزيناً، وإذا احتجت إلى الملح في طعامي فلا أنتظر منك تقديم السكر.

**3.العلاقة/المناسبة:** يُنتظر من الشخص المشارك أن تكون مساهمته مناسبة للحاجة المطلوبة في كل مرحلة، فإذا كنت أصلح سيارتي فلا أنتظر منك أن تقدم لي كتابا لأقرأه، أو لباسا لألبسه أو عطرا لأضعه، (و إن كان ذلك مناسبا في مراحل أخرى متقدمة).

**4.الطريـقة / الكيفيـة:** يَنتـظر الشخـص من معاونه أن يقدم مساهمته بشكل واضـح و عقلاني، فلو طلبت من معاوني أن يُحضِر لي زيتاً للسيارة فعن طريق شرائها في علبة محكمة الغلق و ليس في إناء لا يعلم مصدرها من أين أو نوعها أو نوعيتها.

في نظر غرايس هذه التشبيهات أو الإسقاطات تتعلّق بمسألة يراها أساسية فيما أسماه بمبدأ التعاون و القواعد المتفرعة عنه، فهي تبيّن كيف أن الناس في حواراتهم يتبعون هذه المبادئ و أن العديد من الاستلزامات الحوارية مرتبطة بها أو باختراقها، فقد أنتظر من معاوني أن يساعدني في تصليح السيارة فيشير إلى محفظته، مخترقا بذلك قاعدة المناسبة، فأفهم أنه رغم رغبته في التعاون إلا أنه مرتبط بموعد دراسة أو عمل.

إن هذه القواعد من وجهة نظر **غرايس** " تهدف إلى ضبط مسار الحوار بحيث يؤكد أن احترام هذه القواعد بالإضافة إلى المبدأ العام لهو السبيل إلى بلوغ مقاصدنا" [36]، واعتبر مسألة القصد هذه من الخصائص الأساسية للخطاب، فهو يركز في نظريته على

[36] العياشي أدراوي، سابق، ص 100.

الدلالة المقصدية التي تساعد على أن يفهم المتحاوران كل منهما الآخر، و يميزها عن الحالات غير المقصدية كاحمرار الوجه خجلا، و يميزها كذلك عن الحالات التي ينبغي أن يبقى فيها المقصد مخفيا كي يؤول المخاطب ما يسمع طبقا لما يريده المتكلم[37]، ليكون بذلك قد فهم مقصدا غير مقصد المتكلم، و مثال ذلك تقطيب الجبين للإيهام بأننا منشغلون أو منزعجون و في الحقيقة لسنا كذلك.

إن هذه القواعد تؤطر للخطاب كونها تحدد ما يجب على المتحاورين فعله بطريقة فعلية، صحيحة، كافية وواضحة، و إن كان هذا لا يعني التطبيق الحرفي لهذه المبادئ في كل الأحوال فقليلا ما يسير الحوار على هذا النهج، إلا أن المستمع يفترض – خلافا للظاهر –أن المتكلم يأخذ بها.

إن الفائدة من قواعد **غرايس** لا تكمن فقط في كونها معايير ينبغي اتباعها، بل تتمثل أهميتها في قدرة المتخاطبين على استغلالها، فهي ما ينتظره المتكلمون من مخاطبيهم كونها مبادئ تأويل أكثر منها قواعد معيارية ما يجعلها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية.

هناك من يرى أن مبدأ التعاون عند **غرايس** مبني على نزعة إنسانية خيِّرة مفترضة، إلا أن **غرايس** يعتبره ببساطة وسيلة لشرح كيفية وصول الناس للمعاني. من المؤكد أنه ليس هناك أي اعتقاد أو تصور أن الناس صادقون و مخبرون و يعنون ما يقولون بالضرورة، و من هنا كما قال **غرايس**، "بإمكاننا أن لا نختار التعاون و يمكن أن نمتنع عن الإدلاء بأية معلومة بقولنا : لا أستطيع قول شيء، أو: وعدت بعدم الكلام..."[38] و لذا لا يمكن وصف كل التبادلات الحوارية بالتعاونية، نأخذ الاستجواب على سبيل المثال، فليس من المُتوقَّع أن أياً من الطرفين ينتظر أن يحترم الآخر مبدأ التعاون أو القواعد الحوارية خاصة الكمية، نضيف إلى ذلك الحوار بين

[37] فيليب بلانشيه، سابق، ص119–120 .

[38] Martine Bracops,Op.Cit, P83 .

الأعداء و المواجهات الدبلوماسية، و استجواب الشرطة لمشتبه عنيد، و معظم الخطابات السياسية و العديد من مؤتمرات الرؤساء الصحفية و هي حالات لا تُحترم فيها المبادئ الحوارية.

إذا تمّ الخروج عن إحدى هذه القواعد انتقل كلام المتخاطبين من معناه الظاهر الى المعنى الخفي الذي يقتضيه المقام و سياق المحادثة و هو ما سمّاه غرايس بالاستلزام الحواري، و لكن قبل الحديث عن الاستلزام الحواري ميّز غرايس بين هذا الأخير و بين الاستلزام التواضعي في مقاله " المنطق و المحادثة" مبيناً الفرق بينهما.

### 3.2 الاستلزام العرفي/ التواضعي / المعجمي: (l'implicature conventionnelle/ lexicale)"

يمكن أن يساعد المعنى المعجمي للكلمات في معرفة ما قيل صراحة، و ما تضمنه القول أيضا". [39] بإمكان المتكلم أثناء عملية التواصل أن يتعدى ظاهر ما تعنيه الجملة و ذلك باستعمال ما اصطُلح عليه من معاني الكلمات و تركيب الجملة، وهنا " لا يلعب السياق أو مقام التواصل أي دور في تأويل القول"[40]، أي أن القول لا يحتمل سوى معنى واحد، و" لا ترتبط الدلالة هنا بشروط الحقيقة"[41]. ذلك أن صدقها أو كذبها لا يتعلق بالواقع.

ومثال ذلك ما يلي:

**(1) أحمد جزائري، إذن هو وطني.**

من دون شك أن المتكلم هنا يؤكد أن وطنيته تنبثق من كونه جزائريا، غير أنه لم يُلزم نفسه بأنه قال ذلك، لأنه لم يصرح بها، و إنما تضمنها في قوله[42]، و بإمكان المتلقي التوصل إلى هذا الاستلزام فقط من خلال معنى "إذن" المعجمي (النتيجة) دون اللجوء إلى سياق الحوار.و الاستلزام العرفي هنا لا يفسر في ضوء ما يعرف بأصول الحوار

[39] Grice :Logic and conversation,Op. Cit, p43.
[40] Martine Bracops, Op.Cit, P 69.
[41] Jacques Moeschler, Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique, OP.Cit, p 252.
[42] voir Grice : Logic and conversation, p43.

(القواعد الأربعة)، أو علاقة المتكلم بالمتلقي أو بالاستدلال، و لا تحدد صحته وفقا لشروط الحقيقة و إنّما من خلال أعراف الاستعمال، و لا يختلف اثنين في تأويل هذه الجملة.

(2) **إنها تعيش وحيدة، لكنها سعيدة.**

تحمل "لكن" معنى غير متوقع لما سيأتي، و يتضمن القول أنها مع الوحدة لا يتوقع بأنها تتمتع بحياة سعيدة، و هذا الاستلزام يُفهم من خلال المعنى الاصطلاحي لـ "لكن".

(3) **رغم مرضه، ذهب ليزاول عمله.**

"رغم" هنا تعني أن ما سيأتي عكس ما يُفترض أن يحدث، فمع المرض يكون من المُتوقع جدا أن لا يذهب للعمل، و لكن المعنى العرفي لـ " رغم" يمكِّن المتلقي من افتراض أنه زاول عمله و هو في حالة مرض.

إذا نظرنا إلى الأمثلة التي ذكرها **غرايس** نلاحظ أنها مرتبطة ببعض الأدوات أو حروف المعاني و التي تعرف في اللغات الطبيعية بقيمتها التواضعية المماثلة لقيمتها المنطقية، و هذه القيمة الثابتة تمكن المتكلم من خلق الاستلزام و تساعد المتلقي على فهمه دون اللجوء إلى الاستدلال.

غير أن هذه الحروف قد تؤدي إلى توليد مسار استدلالي، عندما تتفاعل معاني هذه الحروف مع مبادئ الحوار الأربعة[43] فيصبح الاستلزام الناتج حواريا، كما هو الحال في المثال التالي:

- **جمع ما يحتاج من معلومات، كتب مقالا و نشره.**

يوافق معنى الواو الاصطلاحي معناها الطبيعي ألا و هو الترتيب، و في هذا المثال لا يصرح المتكلم بترتيب الأحداث في كلامه و إنما يقولها بنحو غير مباشر. فالفاعل هنا جمع المعلومات بعدها كتب المقال بعـــدها قام بنـشره، و المتكلم قصد هذا الترتيـــب و استغل قاعدة الطريقة "كن منظما" لينتج استلزاما حواريا.

[43] Voir Jacques Moeschleret Anne Reboul :Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 196.

## 4.2 الاستلزام الحواري / التخطابي / غير العرفي:

**(l'implicature non conventionnelle/conversationnelle/discursive)**

يشير غرايس إلى أنه "يوجد نوع آخر من الاستلزامات، غير العرفية و التي أسميها استلزامات حوارية و المرتبطة ببعض الأصول العامة للخطاب"[44]، حيث ركز في أبحاثه على الاستلزام الحواري، و لاحظ أن الناس في حواراتهم اليومية يقولون وقد لا يقصدون ما يقولون، ذلك أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات يمكن أن تدلّ على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي، ومن ثمة فبدل التحدث عن معاني الكلمات و الجمل يُنظر أساسا في الشروط المناسبة لاستعمال العبارات كالسياق و المقام و القواعد الحوارية.

وقد قسّم **غرايس** الاستلزام الحواري إلى نوعين: الاستلزام الحواري المعمّم والاستلزام الحواري الخاص.

### 1.4.2 الاستلزام الحواري المعمّم: (l'implicature conversationnelle généralisée)

هو الاستلزام الذي دخل في الاستعمال، وينتج طبيعيا **(Naturally)** بواسطة استعمال بعض التراكيب اللغوية و المعاني المعجمية للكلمات، و يكون بذلك مستقلا عن السياق.

و نمثل لذلك بمايلي:

1) **دخلت بالأمس منزلا**[45].

يريد المتكلم هنا أن يقول بأنه دخل منزلا أجنبيا، ليس منزله، و بإمكان المتلقي فهم هذا القصد من خلال استعمال المتكلم للنكرة "منزلا".

وتختلف هذه الجملة عن:

**دخلت بالأمس منزلي** و **دخلت بالأمس إلى المنزل.**

[44] Grice: Logic and conversation, Op.Cit, p 45.
[45] Ibid.

وتكون الحال نفسها – حسب غرايس–إذا استعملنا كلمات نكرة مثل: حديقة، سيارة، معهد[46]....

**2) رحل أحمد إلى فرنسا و تعلم اللغة الفرنسية.**

إن ترتيب الأحداث في السرد يقدم معلومة إلى المخاطب مفادها إن الأحداث مرتبة ترتيبا زمنيا إضافة إلى وجود علاقة سببية بين هذه الأحداث، ويكون بهذا الاستلزام الحواري المعمم في هذا المثال "رحل أحمد إلى فرنسا ثم تعلّم اللغة الفرنسية أو رحل أحمد إلى فرنسا لذلك تعلم اللغة الفرنسية و هو يختلف عن: –تعلم أحمد اللغة الفرنسية ورحل إلى فرنسا و الذي يستلزم أن أحمد تعلم اللغة الفرنسية أولاً ثم رحل إلى فرنسا أو تعلّم أحمد اللغة الفرنسية لذلك رحل إلى فرنسا.

إن كون الاستلزام الحواري المعمم مرتبط بالمعنى المعجمي للكلمات و تركيب الجمل وبعض الصيغ النحوية و استقلاله عن السياق جعله يلتبس بالاستلزام العرفي، مما جعل الأمر صعبا عند غرايس لإيجاد أمثلة ليست محل نزاع بسبب هذا الالتباس.

و في الآن نفسه نجد مفهوم الاستلزام الحواري المعمم عند غرايس يتوافق مع مفهوم سيرل (**J.Searle**) لأفعال اللغة غير المباشرة العرفية حيث يُبعد سيرل السياق كعامل لفهم المتلقي لقصد المتكلم و الذي يظهر من خلال أعراف الاستعمال، فبعض الصيغ النحوية كالاستفهام –مثلا –تُستعمل وتُفهم غالبا على أنها طلب كقولنا: " **هل يمكنك إغلاق النافذة؟** " و التي لا يقصد من خلالها المتكلم الاستفسار عن قدرة المخاطب على إغلاق النافذة و لكن طلب إغلاقها أي: " أغلق النافذة". و عليه – في نظر سيرل– " تتألف هذه الجملة من فعلين لغويين: فعل أولي (أساسي) و هو الطلب و الذي يعرف بواسطة فعل لغوي ثانوي وهو السؤال (الاستفسار)"[47].

[46] Grice:Logic and conversation,Op.Cit, p56.

[47] J.R.Searle,Indricte speech acts, in Cole peter and Morgan,Jerry1.eds : speech acts, in Syntax and Semantics. vol 3, New York, Academic press, 1975, p 60.

ويمكن للمخاطب أن يفهم هذا الفعل غير المباشر الأساسي من خلال تطبيق القواعد الدلالية و قواعد الاستعمال، و التي تمكنه من التمييز بين هذا النوع من الأسئلة (بغرض الطلب) و أسئلة مثل:

- **هل بامكانك الكذب على أمك؟**
- **هل بامكانك الذهاب إلى السينما؟**

و التي يقصد بها الاستفسار فعلا عن المقدرة، أي أن هذين السؤالين يحملان فعلا لغويا واحدا هو السؤال و الذي يتطلب الجواب بـ "نعم" أو "لا".

### 2.4.2 الاستلزام الحواري الخاص:

وهو الاستلزام الذي لا ينتج طبيعيا (آليا) و إنما "هو حاصل علاقة القول بالسياق و الظروف الخاصة بمقام التواصل"[48]، أي هو الاستلزام الذي لا يمكن فهمه أو استنتاجه إلا باستغلال السياق و ظروف التواصل الخاصة بكل حوار، فلو قال أحدهم:

-**البرد شديد في هذا المكان** و كان يرغب في أن يغلق المخاطب النافذة، فيكون قصده: " أغلق النافذة".

و إذا افترضنا القول الآتي:

-**الساعة الثانية عشر /منتصف النهار**[49].

ففي سياق خاص، يقولها حارس امتحان للطلبة الممتحنين يعني بها:

-**حان وقت تسليم أوراق الإجابة.**

و إذا قال أحدهم:

-**الجو جميل، و الهواء منعش.**

ففي حال رغبته في الخروج فإنه يدعو من خلال قوله المخاطَب لمرافقته في نزهة.

[48] Grice: Logic and conversation, Op.Cit, p 56.
[49] Martine Bracops,Op.Cit,P68.

**يشترط غرايس من أجل إقامة وفهم استلزام حواري خاص مايلي:**[50]

1.معرفة المعاني التواضعية للكلمات و كذا ما تحيل عليه.

2.مبدأ التعاون و القواعد الحوارية الأربعة.

3.السياق اللغوي وغيره للملفوظ.

4.المعارف القبلية المشتركة.

5.معرفة المتحاورين للعناصر الأربعة السابقة.

ومن أجل اكتشاف ما استلزمه قول المتكلم حواريا، يتوجب على المخاطَب اتباع المسار الاستدلالي العام الآتي:

1- تلفظ المتكلم (ل) بالجملة (ج)

2- لا مجال لأن يفترض المتلقي (م) بأن (ل) لا يحترم القواعد الحوارية، أو على الأقل مبدأ التعاون (افتراض التعاون).

3- افتراض (ل) يحترم مبدأ التعاون و القواعد الحوارية يفرض أن (م) يقصد معنى مستلزما (إمكانية تحديد المعنى).

4- يعلم (ل) (ويعلم أن (م) يعلم بأن (ل) يعلم بأن (م) يفهم أنه من الضروري افتراض (ل) يقصد (س). ( المعرفة المشتركة ).

5- إذا يريد (ل) أن يفكر (م) في (س).

6- إذن (ل) يستلزم (س).

ولتوضيح هذا المسار، يطبقه **غرايس** على المثال السابق ذكره الذي يدور حول الصديق الذي يعمل في البنك ولم يدخل السجن بعد، في مقام معين يتوجب على المتلقي أن يفكر كالآتي:[51]

1- خرق المتكلم (ل) قاعدة المناسبة ولكن هذا لا يجعلني أعتقد بعدم احترامه لمبدأ التعاون.

[50] Grice:Logic and conversation,Op.Cit, p50.
[51] Ibid.

2- مع توفير الظروف الخاصة بهذا الحوار يمكن اعتبار جوابه (الذي يظهر غير مناسب للسؤال) جوابا واضحا ومفهوما إذا وفقط إذا وصل المتلقي إلى التفكير بأن (ل) يقصد: الصديق (ج) عامل غير نزيه.

يعلم المتكلم (ل) بأن المتلقي يملك القدرة على الوصول إلى (2).

3- إذا يستلزم قول (ل) بأن (ج) غير نزيه.

يرى **غرايس** في محاولة للتنظير لكيفية توصل المتلقين لفهم معنى الاستلزام الحواري الخاص أن المتكلم (ل) بتلفظه بالجملة (ج) يصنع استلزاما إذا اعتقد أن ذلك ضروري ليكون متعاونا وأكثر تبليغا ولأنه يعتقد أن المتلقي (م) يدرك ضرورة استعماله للاستلزام الحواري حتى يبلغ مقصده ويجعله مفهوما.

إن التوصل إلى أن (ل) يستلزم (س) لا يتم عبر الاستنتاج المنطقي بل إن المرور من (ج) إلى (س) هو ناتج استدلال غير برهاني محكوم بمبدأ التعاون والقواعد الحوارية،[52]ومتوقف على الشروط الثلاثة المقدمة في المسار الاستدلالي وهي: افتراض التعاون، إمكانية تحديد المعنى والمعرفة المشتركة بين المتكلم والمتلقي،" غير أن **غرايس** لم يذكر من بين هذه الشروط السياق والمعرفة المسبقة للمتلقي واللذان ذكرهما من بين شروط فهم الاستلزام"[53]، وإنما أشار إلى مقام المحاورة في سياق ذكره لمثال الصديق الذي لم يدخل السجن بعد ولم يشرحه كما لم يركز عليه.

إن شروط توليد الاستلزام الثلاثة تعتبر هي نفسها شروط استنتاج معناه، غير أنه لا يمكن من خلالها دائما تحديد قصد المتكلم من العملية التواصلية، ذلك أننا لا نقول بأن المتكلم (ل) تواصل مع المتلقي (م) إلا إذا فهم (م) قول (ل)، فالواقع ليس كل ما يستلزمه المتكلم من كلامه يريد إيصاله للمتلقي، فقد يدخل المتكلم في حوار أو محادثة ويصنع استلزاما حواريا لا يريد أن يفهمه المتلقي، كأن يتكلم بلغة لا يفهمها المستمعون.

[52] Voir Jacques Moeschler, Anne Reboul :Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 167-168.

[53] Standford Encyclopedia of philosophy.

**ملاحظة:**

إن الدارس للاستلزام الحواري بنوعيه ( العرفي والحواري) يلاحظ أنه في الكثير من الأحيان يصعب التفريق بين الاستلزام الحواري المعمم والاستلزام الحواري الخاص، بل نجد التمييز بين الاستلزام الحواري المعمم والاستلزام العرفي غير يسير أيضا، كما هو الحال في المثال الآتي:

-**أحمد جزائري إذن هو وطني**( استلزام عرفي)، و **أحمد جزائري ، هو وطني** ( استلزام حواري معمم) .

كما أن الاستلزام الحواري المعمم قد يتحول مع كثرة الاستعمال إلى استلزام عرفي كما هو الحال بالنسبة للمثال: **هل يمكنك إغلاق النافذة؟**

" و لعله كان من الأفضل تطبيق الاستلزامات على أساس مدى قربها أو بعدها عن العرف اللغوي عوض البحث عن وضعها في مجموعات متمايزة".[54]

من أجل ذلك وضع **غرايس** بعض المعايير التي تساعد على تمييز الاستلزام الحواري من الاستلزام العرفي.

**2-5-الفرق بين الاستلزام الحواري والاستلزام العرفي:**

ذكر **غرايس** في مقاله " المنطق و المحادثة" خمسة معايير نفرق بفضلها بين النوعين: الاستلزام الحواري والاستلزام العرفي، ففضلا عن أن " الاستلزام الحواري يحتاج إلى تأمل وتحكمه أصول التخاطب "[55] أي مبدأ التعاون وقواعد الحوار فإن كليهما يتميز عن الآخر بصفات نجملها في الجدول الآتي:

[54] Martine Bracops , Op.Cit, p 96.

[55] محمد محمد يونس علي، سابق، ص 50.

| الاستلزام الحواري | الاستلزام العرفي/التواضعي |
|---|---|
| -قابل للإلغاء | -غير قابل للإلغاء |
| -غير قابل للانفكاك | - قابل للانفكاك/ الانفصال |
| -لا يمكن تحديد معناه | - يمكن تحديد معناه |
| -غير عرفي | - عرفي |
| -مرتبط بالتلفظ | - غير مرتبط بالتلفظ |

**2-5-1 – قابلية الإلغاء أو الإبطال:( l'annulabilité)**

يقول غرايس: " يمكن أن نلغي استلزاما حواريا بإضافة جملة توحي بأن المتكلم سحب ما قال، أو في حالة وجود سياق يوحي بسحب المتكلم لما قال"[56].

يمكن إلغاء أو إبطال الاستلزام الحواري المعمم أو الخاص دون الوقوع في تناقض مع الملفوظ الأول، في حين لا يمكن أبدا إلغاء الاستلزام العرفي دون نقض المتكلم لما قال لأنه استلزام يعتمد على المعنى الوضعي للكلمات.

• ومن هنا فالاستلزام الحواري قابل للإلغاء **(annulable )** كما هو في الأمثلة التالية:

1- **هل بإمكانك إغلاق النافذة؟ ولكن إذا كانت عالية جدا فلا بأس.**

تم هنا إلغاء الاستلزام الحواري المعمم" أغلق النافذة" ولكن دون أن يناقض المتكلم هذا الاستلزام.

2- **ذهب أحمد إلى فرنسا وتعلم الفرنسية ولكن لا أقصد بهذا الترتيب،** وهو ما ألغى الاستلزام الحواري المعمم" **ذهب أحمد إلى فرنسا أولا ثم تعلم بعدها اللغة الفرنسية**"،دون ذكر النقيض وهو " **تعلم احمد اللغة الفرنسية وذهب إلى فرنسا**".

3- **الساعة تشير إلى الثانية عشر، ولكن يمكنكم الاحتفاظ بأوراق إجابتكم لخمسة عشر دقيقة أخرى،** وهو ما ألغى الاستلزام الحواري الخاص(**عليكم تسليم أوراق الإجابة** ) ولم يستعمل المتكلم النقيض " **لا تسلموا أوراقكم** ".

[56] Grice :Logic and conversation,Op.Cit, p57.

• الاستلزام العرفي غير قابل للإلغاء **(non annulable)** إلا إذا قدم نقيضه كما يتضح في الأمثلة الآتية:

1- **أحمد جزائري، إذن هو وطني، ولكن ليس كل الجزائريين وطنيين**، وهو ما يلغي الاستلزام العرفي (النقيض)**( كل الجزائريين وطنيين )**.

2- **إنها تعيش وحيدة، لكنها سعيدة، غير أن سعادتها لا تنبع من كونها تعيش وحيدة**، وهو ما يلغي النقيض " **وحدتها سبب سعادتها** ".

## 2-5-2- قابلية الانفكاك / الانفصال :( détachabilité)

ويُقصد بهذا المعيار أن "تغيير صيغة القول لفظا مع الاحفاظ بالمعنى لا يؤدي إلى بطلان الاستلزام الحواري"[57]، وذلك لارتباط الاستلزام الحواري بالمعنى و ليس باللفظ، " فأي تغيير في القول إلى مرادفه مثلا لا يؤدي إلى إلغاء مفهومه (المعنى المستلزم) "[58]، وفي المقابل لا يمكن تعويض جملة تحمل استلزاما عرفيا بجملة أخرى مرادفة لها دون أن يؤدي ذلك إلى إلغاء هذا الاستلزام ذلك أن الاستلزام العرفي مرتبط باللفظ.

• و من هنا فالاستلزام الحواري غير قابل للانفصال، ويدوم وإن استبدل بتعبير مرادف ومثال ذلك ما يأتي:

1- **البرد شديد في هذا المكان** (استلزام حواري خاص)، **أكاد أتجمد في هذا المكان**[59]، هذه الجملة المرادفة لا تلغي الاستلزام " **أغلق النافذة**".

2- **الساعة الثانية عشر**( استلزام حواري خاص)، **الساعة منتصف النهار**، وهي جملة مرادفة لا تلغي الاستلزام " **عليكم تسليم أوراق الإجابة** ".

[57] Grice :Logic and conversation, Op.Cit, p58

[58] محمد محمد يونس علي، سابق، ص 43.

[59] Martine Bracops, Op.Cit, P75.

3- **رحل أحمد إلى فرنسا وتعلم الفرنسية** (استلزام حواري معمم)، **رحل أحمد إلى العاصمة باريس وتعلم اللغة**، الاستلزام الحواري هنا نفسه لم يتغير: **رحل أحمد إلى فرنسا أولاً ثم تعلم الفرنسية/ رحل أحمد إلى فرنسا لذلك تعلم الفرنسية.**

4- **دخل أحمد منزلا** (استلزام حواري معمم)، **دخل أحمد بيتا**، الاستلزام الحواري المعمم هنا يدوم وهو "**دخل أحمد إلى غير منزله**".

• الاستلزام العرفي قابل للانفصال لأنه مرتبط باللفظ، وتجدر الإشارة هنا إلى صعوبة وجود أمثلة تبيّن قابلية الاستلزام العرفي للانفكاك/ الانفصال.

- **تمكن أحمد من إقناعك**[60]. و هو استلزام عرفي يُفهم من المعنى المعجمي لـ " تمكن" والتي تعني هنا أنه **حاول إقناعك وبذل جهدا في ذلك.**

حصل أحمد على موافقتك ألغي بذلك الاستلزام: حاول أحمد إقناعك.

تجدر الإشارة هنا إلى أن كل المراجع التي اعتمدنا عليها والتي ذكرت أمثلة عن هذا المعيار لم تذكر سوى هذا المثال أو ما شابهه في المعنى.ولم تطبق هذا المعيار على الأمثلة التي ذكرتها في الاستلزام العرفي.

### 2-5-3-قابلية /إمكانية تحديد المعنى(diterminationd)

يمكن جدا تحديد المعنى الناتج عن الاستلزام العرفي لأنه يتعلق بالمعاني المعجمية للكلمات وتركيب الجملة ولا يحتمل الاستلزام العرفي سوى تأويل واحد [61] كما في المثال الآتي:

- **أحمد جزائري، إذن هو وطني**، فالاستلزام الاصطلاحي هنا واحد لا يُختلف فيه وهو أن كل الجزائريين وطنيين.

[60] Martine Bracops,Op.Cit,P70.
[61] Grice: Logic and conversation, Op.Cit, p58

في حين يصعب تحديد الاستلزام الحواري الذي لا يعرف استقرارا في المعنى. غير أن غرايس يشترط أن تكون الاستلزامات الحوارية قابلة للفهم عن طريق الاستدلال بالاعتماد على مبدأ التعاون ومعنى الملفوظ والسياق الذي استعمل فيه [62] يقول غرايس في مقاله : " إن وجود استلزام حواري في أية محاورة يجب أن يكون مفهوما وإن عن طريق الحدس، إلا إذا تم تعويض الحدس بحجة فحينئذ يعد الاستلزام عرفيا و ليس حواريا"[63]

ومن أجل فهم الاستلزام الحواري يستوجب على المتلقي اتباع المسار الاستدلالي الذي اقترحه غرايس للتوصل إلى فهم هذا الاستلزام وتجدر الإشارة إلى أن الاستلزام الحواري المعمم يختلف عن الاستلزام الحواري الخاص في درجة صعوبة الفهم. فالاستلزام الحواري المعمم يقبل تأويلات متنوعة ولكنها مرتبطة بالتركيب المستعمل، وكلما كان هذا التركيب معروفا لدى المتحاورين كلما سهل فهم الاستلزام، كما تبين في المثال الآتي:

- هل يمكنك غلق النافذة؟ والتي تعني " أغلق النافذة" / أود أن تغلق النافذة/ أرجو أن تغلق النافذة، يبدوهنا تحديد المعنى سهلا، لأن صيغة الاستفهام هنا كثيرة التداول بغرض الطلب.

غير أننا نجد صعوبة في تحديد معنى الاستلزام الحواري الخاص وفهم قصد المتكلم ذلك أنه غير مرتبط بتركيب معين (" قائمة التأويل المحتملة للقول مفتوحة")[64]، ولكن بعلاقة القول وبعض العناصر المرتبطة بالسياق.

-ومن ثمّ فكلّما كانت الجملة متداولة ومعروفة كلّما زادت درجة فهم الاستلزام الحواري، وكلما كانت الجملة قليلة التداول كلما كانت درجة الفهم أقل.

**-مثال:**

-**البرد شديد في هذه الغرفة**، هذه الجملة تحتمل عدة معان:

[62] Voir Standford Enyclopedia of philosophy,Op.Cit.
[63] Grice :Logic and conversation,Op.Cit, p50.
[64] Ibid, p58

-أغلق النافذة، أوقد المدفأة، أعطني غطاء إضافيا، ناولني معطفي، حضر لنا حساء ساخنا؛ وهنا تكون درجة إمكانية تحديد المعنى ضعيفة، ولعل أحسن مثال لتعدد معاني الاستلزام الحواري هو المجاز، الذي يصعب في بعض حالاته تحديد معناه، وكلما كان المجاز مبتدعاً، كلما صعب فهمه و مثال ذلك:

1-**غرفتك سلة مهملات**، والتي تعني أن غرفتك غير مرتبة وغير نظيفة...لدرجة أنها تشبة سلة المهملات.

**2-حسام آلة جرافة**[65]، أي أنه قوي، صامد، صلب، صبور، لا شيء يقف في طريقه.

### 2-5-4-التواضعية:( ***conventionalité*** )

إن الاستلزام العرفي – بالاسم وبالتعريف-مرتبط بالجانب المعجمي لمعاني الكلمات المستعملة في الاستلزام و كذا التركيب، بينما يستقلّ الاستلزام الحواري من أعراف الاستعمال والمعاني الوضعية للجملة الحاملة للاستلزام، فهو استلزام يُعرف بالسياق والمعرفة المشتركة والمسبقة لدى المتحاورين.

### 2-5-5-ارتباط الاستلزام بالتلفظ: (dépendance de l'énonciation)

كما تم ذكره في معيار التواضعية، فإن الاستلزام العرفي يعتمد على التركيب لتحديد معناه، بينما يعتمد الاستلزام الحواري على الاستنتاج عن طريق الاستدلال غير البرهاني، ذلك " أنه مرتبط بالتلفظ وليس بالجملة ( التركيب)"[66].

و لقد ذكر غرايس هذه المعايير الخمسة في آخر مقاله " المنطق والمحادثة" ولم تأخذ من مقاله هذا سوى صفحة واحدة، حيث لم يشرحها بالقدر الكافي ولم يقدم أمثلة توضح كل معيار.

[65] Jacques Moeschler, Anne Reboul :Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique, Op.Cit,P258.
[66] Grice:Logic and conversation, Op.Cit,p58

يرى سادوك **(sadok) (1978)** أن معيار عدم قابلية الانفصال وكذا معيار إمكانية تحديد المعنى لا يعتبران شرطين أساسيين لتحديد الاستلزام الحواري[67]، فعدم قابلية الانفصال لا يكفي للتمييز بين الاستلزام الحواري والاستلزام المنطقي ويقدم مثالا عن واو العطف ***(*Et' en français**').

- **رحل جون وبول.**

يقول ***سادوك*** أنه لا يمكن شرح هذه الجملة دون أن تُبلغ أن " بول رحل (رحل جون " ورحل بول")، غير أنه لا يمكن تسمية " رحل بول " استلزاما حواريا، ولكنه ببساطة استلزام منطقي.

كما أن معيار الاصطلاحية و الارتباط بالتلفظ يدخل أساسا في تعريف كل من الاستلزام الحواري والاستلزام الاصطلاحي.

يضاف إلى ذلك أن غرايس لم يحدد إن كان التمييز بين الاستلزام العرفي والاستلزام الحواري يحتاج إلى واحد من هذه المعايير أو يشترط تحققها كلها.

و ما يمكن أيضا ملاحظته أن بعض المعايير، كمعيار قابلية الانفكاك لا يمكن تحققه في جميع الحالات، ففي حالة الاستلزام العرفي نجد المثال: **أحمد جزائري، إذن هو وطني**، إذا عوض بمرادفه كأن نقول:

-**أحمد جزائري، إذن يحب وطنه**، نجد الاستلزام الحواري هنا يدوم ويقبل المـرادف وهـو (كل الجزائريين يحبون وطنهم/ وطنيين).

وفي مثال: **تعيش وحيدة، لكنها سعيدة**، نعوضها بمرادفها:

تعيش بمفردها لكنها تنعم بحياة هنيئة.

لا يغيّر المرادف هنا في المعنى ولا يلغي الاستلزام العرفي: أننا لا نتوقع أنها سعيدة كونها تعيش بمفردها.

[67] Jacques Moeschler, Anne Reboul:Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique ,Op.Cit, p257.

## 2-6-كيف يحدث الاستلزام الحواري؟

تعتبر قواعد الحوار الأربعة مبادئ هامة لتأويل الأقوال، ويمكن للمتخاطبين احترام هذه المبادئ كما يمكنهم خرقها، غير أن **غرايس** يرى بأن خرق قاعدة ما لا يعني بالضرورة إخفاق التواصل وقد سمى **غرايس** " الحالة التي تخرق فيها قاعدة ما مع تمكين المتلقي من فهم القول باستغلال القاعدة"[68].

هناك ثلاث حالات للتعامل مع قواعد الحوار، احترام القواعد، خرق القواعد و استغلال القواعد، وهي ما يشرح كيفية حدوث الاستلزام الحواري التي نجملها في الجدول الآتي:

| أنواع الاستلزام | كيفية حدوث الاستلزام | طرق خرق القواعد | احترام مبدأ التعاون | احترام قواعد الحوار |
|---|---|---|---|---|
| -الاستلزام التواضعي/العرفي | استغلال معاني بعض الحروف و الأدوات | احترام القواعد | نعم | نعم |
| الاستلزام الحواري | خرق القواعد الحوارية | تعارض بين قاعدتين تُخرق إحداهما لأجل تحقيق الأخرى | نعم | نعم/لا |
| | | خرق غير مقصود (خطأ) لقاعدة حوارية . | نعم ولكن إخفاق التواصل | لا |
| | | خرق مقصود لقواعد الحوار ( الكذب) | لا | لا |
| | استغلال القواعد الحوارية | خرق مقصود للقواعد الحوارية . | نعم | لا ولكن نجاح التواصل |

[68] Grice,Logic and conversation, Op.Cit, p52

**2-6-1-احترام قواعد الحوار :(respect des maximes)**

يقصد باحترام المبادئ، " عدم وجود أي خرق لقاعدة من قواعد الحوار "[69]، أي أن هناك تطابقا بين ما قيل وما يراد قوله وبمعنى آخر لا يوجد استلزام حواري كما تُبين الأمثلة الآتية:

1- **لدى (ب) ثلاثة أولاد.**

إذا كان لدى (ب) فعلا ثلاثة أولاد (ليس 2 ولا 4) فهنا نقول أن المتكلم احترم قاعدة الكمية.

2- **(أ) – في أي صف أنت؟**

**(ب)-في الصّفّ الرابع.**

إذا كان فعلا (ب) يدرس في الصّفّ الرابع فقد احترم قاعدة النوعية و التي تقول بوجوب الصدق وتجنب قول ما لا نملك عليه برهانا.

**ملاحظة:**

هذان المثالان يوضحان احترام قاعدة الكمية والنوعية وهما في الحقيقة يحترمان كل القواعد.

"هناك أيضا احترام للمبادئ الحواريّة في حالة الاستلزامات العرفية"[70] كما هو الحال في الأمثلة الآتية:

- **أحمد جزائري إذن هو وطني.**
- **تعيش وحيدة، لكنها سعيدة.**

هنا قاعدة الطريقة تطبق عن طريق وسيط لغوي عرفي (إذن، لكن)، وإذا قلنا باحترام قواعد الحوار هنا، فنحن نقول أيضا بمراعاة مبدأ التعاون. إذن كيف يحدث الاستلزام الحواري؟

[69]Martine Bracops,Op.Cit,p 80
[70] Ibid, p81.

حسب الجدول المُقدّم فإن الاستلزام الحواري يحدث نتيجة خرق القواعد الحوارية الأربعة بطرق مختلفة مع احترام أو عدم احترام المبدأ العام للحوار (التعاون) كما يتمّ عن طريق استغلال القواعد نفصِّل فيها كالآتي:

### 2-6-2 خرق القواعد الحوارية:(violation des maximes)

و يحصل بثلاث طرق:

#### 2-6-2-1 وجود تعارض بين قاعدتين: (contradiction entre deux maximes)

قد يحدث وأن تتعارض قاعدتان، حيث أن احترام إحداهما يؤدي إلى خرق الأخرى، يختار المخاطِب ما يريد من هاتين القاعدتين و يحافظ دائما على مبدأ التعاون[71]، و يقدم غرايس مثالا لذلك.

-يفكر (أ) في زيارة إلى فرنسا ويريد رؤية (ج) هناك، لكنه لا يعلم تماما عنوان بيته فيسأل (ب) عن مكان (ج).

فيجيب (ب): **في مكان ما في جنوب فرنسا** [72].

لا يوجد أي دافع هنا للتفكير بأن (ب) يرفض التعاون كما أن إجابته -كما يعلم – ليست إخبارية بما فيه الكفاية. هو خرق لأول قاعدة من قاعدة الكم (لتكن إجابتك على قدر الحاجة)، ويُفسَّر هذا الخرق في ظل الاعتقاد بأن (ب) خرق قاعدة الكمية من أجل الاحتفاظ بقاعدة الكيف (لا تقل ما يعوزك فيه برهان) فاستلزم قوله أنه لا يعلم بالضّبط أين يقطن(ج)، ولأنه متعاون لا يريد تقديم معلومة خاطئة أو كاذبة.

#### 2-6-2-2 – خرق غير متعمد لإحدى القواعد الحوارية: (violation involontaire d’une maxime)

يمكن أن يخرق المتكلم عن غير قصد إحدى القواعد الحوارية، الشيء الذي يؤدي إلى خلق الشك لدى المخاطَب، أو سوء فهم للقول، وبالرغم من أن المتكلم هنا يراعي ويحترم مبدأ التعاون إلا أن عملية التواصل غير ناجحة [73].

---

[71] Grice,Logic and conversation, Op.Cit, p 51.
[72] Ibid, p 51-52.
[73] Ibid, p 51 .

وفيما يلي هذا الحوار:

**(أ)-هل رحل أحمد حقّاً هذا الصباح[74]؟**

**(ب)-نعم، نعم....، رحل هذا الصباح، في ساعة مبكرة، كان الظلام لا يزال سائدا، نهض فجرا، نعم كان يلبس ثيابا جديدة، خرج مسرعا وكان يود اللحاق بقطار السابعة.**

في هذا الحوار تكلّم (ب) كثيرا وذكر أشياء كثيرة أكثر مما هو مطلوب وأراد القول: أؤكد لك أنه رحل/ أود إقناعك أنه رحل.

إذن فقد خرق قاعدة الكمية الثانية (لا تقل أكثر مما تتطلبه الحاجة) في حالة اعتبار (أ) أن (ب) لم يتعمد خرق هذه القاعدة، فهذا يؤدي إلى خلق حالة شك عند المتلقي فيما إن كان (ب) فعلا متأكدا مما يقول. أمّا إذا ظن بأن استرسال (ب) في الكلام كان متعمدا فقد يؤدي إلى فهم المخاطَب بأن المتكلم يريد إبلاغه بطريقة غير مباشرة أن (ج) لم يرحل.

### 2-6-2-3-خرق متعمَّد لقاعدة من قواعد الحوار: (violation délibéreé d'une maxime)

" قد يرفض المتكلم التعاون ويخرق متعمدا إحدى القواعد الحوارية ليوقع المخاطَب في خطأ الفهم، كما قد يتجه إلى الكذب بشكل مباشر "[75] فنقول أنه اختار وبشكل واضح وصريح عدم التواصل، أو يخرق قاعدة الكمية وذلك بأن يرفض الإدلاء بأي كلمة أو أن يقول كلاما غير كاف، كما هو في المثال الآتي:

**لا أستطيع أن أقول لك شيئا، وعَدت بكتمان السر[76].**

يرفض المتكلم التعاون هنا بشكل صريح فيعلن عدم تقديم أي معلومة.

قد يتعلّق الأمر بخرق قاعدة أخرى، كقاعدة العلاقة مثلا، يقول غرايس هنا أنه من الصعب وجود أمثلة عنها[77]، ففي حفلة شاي يقول (أ):

---

[74] Martine Bracops,Op.Cit,P82.
[75] Ibid,p83.
[76] Ibid.
[77] Grice,Logic and conversation,Op.Cit, p54.

**السيدة (س) حقيبة قديمة/ كبرت كثيرا و فقدت جاذبيتها.**

بعد لحظة صمت يقول (ب): **إن الجو بديع جدا اليوم، أليس كذلك؟**

رفض (ب) أن يكون جوابه ذا علاقة بقول (أ) ربما لحضور أشخاص آخرين يقْربون للسيدة (س)، فهو يرفض الخوض في حديث يخص السيدة (س)، وبدقة أكثر يرى أن (أ) ارتكب خطأ اجتماعيا /حماقة.

ممكن في حالة الخرق المتعمد للقواعد أن يتعامل المتكلم بسوء نيّة (يرفض التعاون) فيكذب على المتلقي ليجعله يفهم فهما خطأ[78].

كأن يقول أحدهم: **لدى أحمد ثلاثة أولاد.**

فإذا كان في الواقع لأحمد خمسة أولاد، فقد خرق قاعدة الكمية مما يؤدي بالمتلقي إلى فهم أن لأحمد ثلاثة أولاد و ليس: ثلاثة على الأقل.

وفي مثال آخر يقول (أ): **تعطلت سيارتي**[79].

(ب): **هناك محطة سيارات أجرة في آخر الطريق.**

إذا كان المخاطَب يعلم بأنه لا وجود لمحطة سيارات أجرة في آخر الطريق أو أن هذه المحطة لا تعمل، أو لا توجد أي سيارة أجرة هناك، فنقول أن المتكلم خرق قاعدة الكيف/ النوعية (و حتى قاعدة المناسبة) وبالتالي هناك سوء نية بإيقاع المخاطَب في الخطأ عن طريق الكذب المتعمَّد.

وفي مثال آخر قد يتعمد المتكلم تغيير واقع ما فيقلب جملتين (يُغيِّر الترتيب فيقول):

-**تحدّثتُ مع أحمد فبدا سعيدا و راضيا**، بدل قوله:

-**بدا أحمد سعيدا و راضيا فتحدثتُ إليه.**

ففي الحالة الأولى أظهر المتكلم نفسه السبب في رضى وسعادة أحمد، فإذا كان هذا غير صحيح فإن المتكلم قام بخرق قاعدة الكيفية عن طريق تغيير الـترتيب في الجملة و العلاقة السببية بين مركبيها.

[78] Martine Bracops,Op.Cit,p83.
[79] Ibid,P82.

### 2-6-3 استغلال القواعد الحوارية: (exploitation des maximes conversationnelles)

قد يخرق المتكلم قاعدة من قواعد الحوار متعمدا وبشكل صريح مع احترام مبدأ التعاون، غير أن هذا الخرق ليس نتيجة تعارض قاعدتين، ولا بقصد تضليل المخاطَب أو الكذب عليه[80] و على المخاطَب أن يفهم أن المعلومة التي تحصَّل عليها في ظاهر القول غير كافية لتجعل المحادثة التي هو طرف فيها ناجحة أو مفهومة، ومن ثمّ أن يبحث عن المعنى الضمني.

وحسب غرايس فإن اختيار المتكلم لخرق القواعد إنما هو في الواقع استغلالها، ويتولد عن هذا الاختيار استلزام حواري[81].

وفيما يلي أمثلة عن استغلال القواعد الحوارية الأربعة:

**1-استغلال قاعدة الكمية:**

يتجسد استغلال قاعدة الكمية من خلال إنشاء قول يحمل معلومة غير كافية أومعلومات كثيرة غير مطلوبة وذلك بصفة متعمَّدة.

ويمكن التمثيل للحالة الأولى بالمثال الذي قدَّمه غرايس في مقاله"[82] عن أستاذ الفلسفة الذي يكتب رسالة حول الطالب (ج) الذي يود مزاولة دراسته في شعبة الفلسفة.

يقول في رسالته:" **إن التلميذ (ج) يتحكم جيدا في اللغة الانجليزية، وكان مواظبا على حضور دروسه ....**".

في هذه الحالة لا يوجد شك في أن المتكلم يراعي مبدأ التعاون، وإلا ما كان ليكتب الرسالة أصلا، كما أن حديثه غير الكافي حول التلميذ (ج) لا ينبع من نقصٍ في معلوماته حول (ج) أو عدم قدرته على الكتابة، غير أنه تعمد خرق قاعدة الكمية (وكذلك قاعدة العلاقة) لأنه يرى أن (ج) لا يستطيع دراسة " الفلسفة "، ولكنه لا يصرّح بها وإنما يضمنها قوله.

[80] voir Martine Bracops,Introduction à la pragmatique,p84.
[81] voir Grice :Logic and conversation, p52.
[82] Ibid.

ولعل أهم ما يمثل استغلال قاعدة الكم الأولى هي العبارات التكرارية [83] المستعملة في اللغة اليومية و التي لا تحمل في ظاهرها أي معلومة غير أنها تحمل استلزاما حواريا معمما، ويمكن للمتلقى أن يكتشف معنى هذه العبارات المستلزم بالنظر إلى مدى قدرته على تفسير سبب اختيار المتكلم لهذا النوع من العبارات، ومثال ذلك ما يلي:

-**النساء هن النساء**[84].

على مستوى الجملة لا يقول المتكلم شيئا، ولكن على مستوى التواصل (ما يراد قوله) فإنه يعني: النساء متسرِّعات، غير مستقرات على رأي، متقلبات المزاج....

-**الحرب هي الحرب**[85]. والتي تعني: مدمِّرة، مهلكة للبلاد والعباد، الفقر، المرض.....

-**إما أن أذهب أو لا أذهب**. وتعني يجب أن أرحل في الحين وإلا لن أجد الشجاعة لأرحل أبدا.

أما في الحالة الثانية (الإكثار في الكلام)، فإن المتكلم يقدم معلومات وافرة غير مطلوبة، نقول إن المتكلم استغل القاعدة الثانية لقاعدة الكم (لا تجعل إسهامك أكثر أخبارا مما هو مطلوب) ليقول شيئا آخر غير ما يظهر في القول، وفيما يلي هذا الحوار:

(أ): **هل التقيت بالمدير؟ وهل حدثتَه عن الزيادة في أجرك؟**

(ب): **لقد حدثني عن صحته و زوجته و أولاده و سيارته و عن كل شيء، حدَّثني عن كل شيء**[86].

والاستلزام الحواري (الخاص) هنا هو: حدثني المدير عن كل شيء ما عدا الموضوع الذي أردت تناوله معه/ أي ماعدا موضوع زيادة أجري، ومع أن المتكلم استغل هنا قاعدة الكم وحتى قاعدة العلاقة إلا أن المتلقي يفهم ما أراد قوله.

[83] Grice: Logic and conversation,Op.Cit,P52.
[84] Martine Bracops,Op.Cit,P85.
[85] Ibid.
[86] Ibid, P86

**2- استغلال قاعدة الكيف/ النوعية:**

باستغلاله قاعدة الكيف يقدم المتكلم معلومة يؤكد على صحتها دون تقديم ما يبرر أو يبرهن على ذلك[87] وعلى المتلقي أن يفهم أن ما قيل لا يحمل المعلومة الكافية التي تمكِّنه من الفهم الجيد لقصد المتكلم، و يستطيع أن يستنتج أن المتكلم لم يقدم برهانا على صحة قوله ولكنه مكان ذلك اعتمد على شيء مشابه حدث من قبل، فهو مؤكد.

كأن يقول أحد وهو في انتظار صديقه:

**-متأكد أن أحمد نسي موعدنا هذا**[88].

يؤكد المتكلم حديثه هنا (عدم قدوم أحمد) دون تقديم حجج ليستلزم قوله: لدي ما يجعلني متأكدا أن أحمد نسي موعدنا، وهذا لأنه حدث وأن نسي مواعيد من قبل أو أن أحمد من النوع الذي ينسى سريعا لذلك لن يحضر إلى الموعد.

إلى جانب هذا، يمكن أن ينتج المتكلم قولا غير حقيقي أو مجازي، وحسب **غرايس** فإن استغلال قاعدة النوعية هي ما يشرح بعض أوجه المجاز[89]، كالسخرية والاستعارة و التقزيم و التفخيم /المبالغة، نمثل لكل منها بما يأتي:

**أ- السخرية: l'ironie**

تربط (أ) علاقة جيدة مع (ب) غير أن (ب) أفشى سر (أ)، يجلس (أ) مع جماعة من الناس يعلمون ما حدث فيقول:

**-إن (ب) صديق وفيّ.**

من الواضح جدا للمتكلم (أ) وكذلك لمخاطَبيه أن ما قاله (أ) ليس صحيحا وهو يعلم أن مخاطَبيه على علم بذلك وعليهم هنا أن يفهموا ما أراد (أ) قوله، وبناء على معرفتهم المسبقة فإنهم يدركون أنه قصد العكس تماما ليسخر من (ب) الذي لا يعرف الوفاء أو الصداقة.

[87] voir MartineBracops,Introduction à la pragmatique , p86.
[88] Ibid.
[89] Grice,Logic and conversation,Op.Cit, p 53.

**ب-الاستعارة (métaphore):**

إن الجمل من أمثلة: " **أنت ملح حياتي**" تَستعمِل كلمات ومعاني تبدو غير مناسبة للمعنى المقصود، غير أن المتكلم يمنح لمخاطَبه بعضا من الصفات المقاربة للمادة المذكورة (الملح) فيكون المعنى المراد إيصاله للمخاطَب من خلال هذا القول هو:" أنت سعادتي وسبب فخري" غير أنه يمكن هنا أن نجمع بين السخرية والاستعارة فيكون ممكنا أن يفهم قول المتكلم بمعنى عكسي أي:" أنت سبب تعاستي، وتعكُّر حياتي".

**ج-التقزيم:(litote):**

يتحدث المتكلم عن رجل قام بتكسير كل الأثاث في المنزل فيقول:

" **كان مضطربا قليلا**" ويقصد أن الرجل كان في حالة غضب شديدة أدت إلى فقدان سيطرته على نفسه فلم يدر ما يفعل، فقزّم المتكلم هنا الفعل لدرجة كبيرة.

**د-المبالغة *(hyperbole)*:**

ومثال ذلك قول أحدهم: **أنت أعلم إنسان فوق الأرض**، أو **أنت أجمل فتاة في العالم**[90]، أو **أنت أذكى الناس.**

في هذه الحالة قام المتكلم بعكس الحالة السابقة حيث بالغ كثيرا في أقواله حتى بعُد عن الحقيقة، وعلى المتلقي أن يقوم بتبسيط القول ليصل إلى المعنى المقصود وهو هنا:

- **أنت إنسان عالم**
- **أنت فتاة جميلة جدا.**
- **أنت ذكي جدا.**

يمكن جدا أن يجتمع اثنان من أوجه البلاغة المذكورة في قول واحد؛ فالسخرية / التهكم مثلا يمكن أن تصاحب جميع هذه الأوجه بحسب السياق. ويمكن أن يجد المتلقي نفسه أمام تفسيرين للقول، يعكس الأول الثاني في المعنى، كأن يقصد من قال" أنت أعلم الناس" بأنه أجهلهم، و"أنت أجمل فتاة في العالم" بأنها أبشع فتاة.

[90] Martine Bracops, Op.Cit,P87.

**3-استغلال قاعدة العلاقة / المناسبة:**

في حوار يقوم أحد المتحاورين بتقديم جملة لا تناسب ما تقدم من الحوار لينتج عنها استلزاماً حوارياً، كما يظهر في المثال الآتي:

أ- **مديرنا رجل متعصِّب لرأيه**[91].

ب- **الجو جميل هذا الصيف، أليس كذلك؟**

إذا كان هذا التبادل الحواري يحدث في مكان عمل المتحاورين ويخشى (ب) أن يمرَّ المدير أو أحد معاونيه من هناك ويسمع حديثهما فإن الاستلزام الحواري هنا يكون:

-من الأفضل أن تصمت ولا تتحدث عن المدير، أو ارتكبت خطأ، أو لا تقل شيئا يعرضنا للعقاب.

-و في مثال آخر يقول (أ): **أنا ذاهب إلى مكتب البريد**[92].

-فيجيبه (ب): **الساعة السادسة و النصف.**

يستنتج (ب) هنا أن الوقت متأخر للذهاب إلى مكتب البريد والاستلزام الحواري هنا:

يغلق مكتب البريد قبل السادسة و النصف.

**4-استغلال قاعدة الكيفية/ الطريقة:**

تتمثل قاعدة الكيفية أساسا في التزام الوضوح في الكلام وتجنب الغموض و الالتباس القصدي، فإذا تم خرق المتكلم لإحدى هذه القواعد يقع الاستلزام الحواري، وفيما يلي أمثلة عن خرق مختلف القواعد المنضوية تحت قاعدة " كن واضحا".

أ- **الالتباس المبني على الاشتراك :(Ambiguité )**

نذكِّر هنا أن ما يهمنا هو الالتباس الإرادي وع لى المخاطَب أن يعرف لماذا يعمد المتكلم إلى اختيار قول ملتبس في حين قبِل أن يتعاون ويتواصل، [93]هناك حالتان:

[91] Martine Bracops ,Op.Cit,P58.
[92] Ibid,P89.
[93] voir Grice :Logic and coversation , p54

أ- أن يكون للقول معنيان ممكنان، ولا يظهر أي منهما أكثر أهمية من الآخر أو أكثر وضوحا.

يقول أحد العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب بن حنبل ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، ثم إلى مذهب الشافعي:

**تمذهبتَ للنعمان بعد ابن حنبل وفارقتَـــــه إذ أعــوزتك المــآكل**

**وما اخترت رأي الشافعي تدينا ولكنّما تــهوى الذي منه حاصـــل**

**وعما قليل أنت لا شك صائــر إلى مالك فافطن لما أنـــت قائـل** [94]

فـ "مالك" هنا يصلح أن يكون مالك بن أنس صاحب المذهب، ويصلح أن يكون مالكا خازن النار، فاقترح الشاعر الحالتين ولم يوضح أو يصرح أيهما يقصد.

ب- في الحالة الثانية نجد أحد المعنيين (للقول الواحد) أقل وضوحا من الثاني، والأقرب لتفسير القول ونأخذ كمثال لذلك السؤال الطريف من مقامات الحريري:

-أيحل للصائم أن يأكل نهارا؟[95]

إذ أن نهارا مشترك بين (عكس الليل) وبين (فرخ الحباري)، ولكن تظهر الإجابة الثانية الأنسب لمسلم يعلم أن الصوم بالنهار، و لأغراض أسلوبية استعمل المتكلم المشترك اللفظي "نهارا".

**ب-الغموض: (obscurité):**

يمكن للمتكلم أن يستغل قاعدة " تجنب الغموض" مع الحفاظ على مبدأ التعاون وتمكين المخاطب من فهم كلامه رغم غموضه [96].

لنفرض أن (أ) و (ب) يتحدثان في حضور طرف ثالث، ليكن طفلا مثلا، يخرق (أ) قاعدة "كن واضحا" لينتج قولا غامضا نوعا ما على أمل أن يفهم (ب) مقصده ولا يفهم

[94] العياشي أدراوي، سابق، ص 115.

[95] نفسه، ص 116.

[96] voir Grice :Logic and conversation, p55.

ذلك الطرف الثالث، ويبدو من الواضح جدا أن (أ) يريد أن يدرك (ب) أنه لايريد أن يفهم كلامه الطرف الثالث.

**ج-نقص الدقة و الاختصار:(Manque de concision et de briéveté):**[97]

لنقارن الجملتين أ وب:

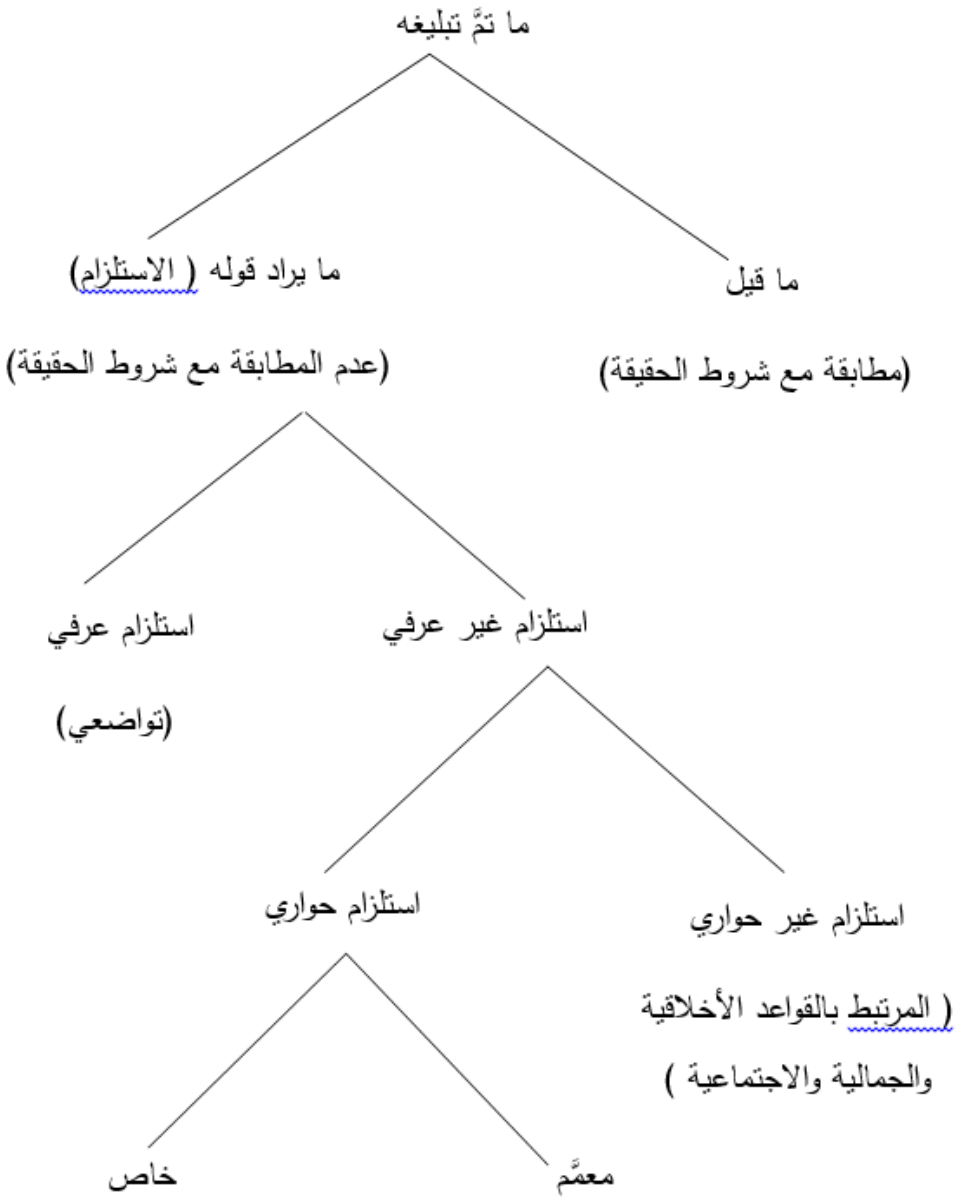
**أ- ينشد (س) نشيد الحرية.**

**ب- ينتج (س) مجموعة من الأصوات تشبه نشيد الحرية.**

لنفترض أن هناك من يعلِّق على (س) وينتقد أداءه، فاستعمل "ينتج (س) مجموعة من الأصوات" بدل أن يختار مباشرة اللفظ المختصر وهو "ينشد"، والسبب في ذلك أنه أراد أن يشير إلى الفرق بين أداء (س)، وبين المعنى المفهوم عادة من لفظ "ينشد" فيستلزم كلامه أن أداء (س) جدُّ سيِّء ولا علاقة له بالإنشاد.

ويمكن أن نجمل ما قلناه عن نظرية غرايس في الاستلزام الحواري في هذا المخطط:

[97]Grice :Logic and conversation,Op.Cit, p55.


ما تمَّ تبليغه
ما قيل
(مطابقة مع شروط الحقيقة)
ما يراد قوله ( الاستلزام)
(عدم المطابقة مع شروط الحقيقة)
استلزام عرفي
(تواضعي)
استلزام غير عرفي
استلزام غير حواري
( المرتبط بالقواعد الأخلاقية
والجمالية والاجتماعية )
استلزام حواري
معمَّم
خاص

### 3.حدود قواعد غرايس والقواعد التهذيبية:

يبدو أن هناك العديد من العوامل التي تساهم في تحديد المدلولات بين المتحاورين من قبيل العادات والمعتقدات والمعارف المشتركة والسياق ونوعية العلاقة بين المتحاورين وما إلى ذلك مما يمكّن المخاطَب من الوصول إلى المعاني المستلزمة حواريا، الأمر الذي يقودنا إلى القول إن المعنى المستلزم للخطاب يتباين بتبايُن المتحاورين والظروف المحيطة بكل محاورة، فكثيرا ما يقول المتكلم أشياء يتظاهر بعدم قصدها أو يتهم بقول أشياء لم يكن قاصدا قولها لذلك فهو يلجأ أحيانا إلى الشرح والتعقيب على ما قال.

و من هنا رأى الكثير من الدارسين أن قواعد غرايس تبقى قاصرة عن ضبط الحوار ومساعدة المتلقين على فهم الأقوال، ذلك أنه لم يأخذ بعين الاعتبار العديد من السلوكات اليومية العادية وبعض القواعد الخاصة بالجانب التهذيبي، والتي اكتفى فقط بالإشارة إليها في مقاله "المنطق و المحادثة":" هناك أنواع شتى لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية مثل " لتكن مهذبا "والتي يتبعها عادة المتحاورون في أحاديثهم والتي قد تولد معان غير متعارف عليها ".[98] واكتفى بهذا القدر، فلم يذكرها أو يشرحها (القواعد) أو يبيّن تأثيرها في الحوار والعملية التواصلية بأكملها.ومن ثَمَّ كان لابد من اقتراح قواعد لا نقول بديلة لقواعد **غرايس** وإنما مكمِّلة لها، ف**غرايس** ركز على الجانب التبليغي بينما أسقط الجانب التهذيبي و من المبادئ التي أضيفت إلى ما اقترحه **غرايس** ما يلي:

### 3. 1-مبدأ التهذيب(Politeness Principle):

وهو من أهم المبادئ التي ينبني عليها الحوار، وقد أوردته **روبن لاكوف (Robin lakoff)** في مقالتها " منطق التأدب " (The logic of Politeness) والذي يقضي بما يلي " كن مؤدَّبا"[99]، ويعني أن يلتزم المتكلم والمخاطَب بضوابط التهذيب مثلما

[98] Grice:Logic and conversation, Op.Cit, p55.

[99] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، سابق، ص 240.

يلتزمان بضوابط التبليغ و ذلك من أجل تحقيق الغاية التي من أجلها دخل في الحوار ويتفرع هذا المبدأ إلى ثلاث قواعد:[100]

أ- **قاعدة التعفف:** لا تفرض نفسك على المخاطب.

ب- **قاعدة التشكيك:** لتجعل المخاطب يختار بنفسه.

يتجنب المتكلم هنا أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كأنه متشكك في مقاصده فيترك بذلك الفرصة للمخاطب باتخاذ القرارات [101] كأن يقول له مثلا " ربما ترغب في قراءة هذا الكتاب"أو " من المفيد جدا قراءة هذا الكتاب"، عوض القول " يجب عليك قراءة هذا الكتاب ".

ج-**قاعدة التودد[102]:** لتظهر الود لمخاطَبِك.

تتعلق هذه القاعدة بالمعاملات أو الحوارات التي يكون فيها المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية، ويكون على المتكلم حينئذ أن يعامل المخاطَب معاملة النظير للنظير وذلك باستعمال الصّيغ التي تقوي علاقات التضامن والصداقة نحو ضمير المخاطب، الكنية، الاسم.... الخ.

إنَّ أهمية هذه القواعد تتفاوت من مجتمع إلى آخر وهي تنظِّم الجانب التهذيبي للخطاب.

### 3-2-مبدأ التواجه (Face principle):

ورد هذا المبدأ عند كل من **براون** (Brown) و**لفنسن** ( **levensen**) في عملها المشترك " Politeness and Face theory" نظرية التأدب و التواجه ويصاغ على النحو الآتي: " لتصن وجه غيرك" [103]. ويقوم هذا المبدأ على مفهومين: مفهوم الوجه الذي هو عبارة عن ذات الشخص التي تتحدد بها قيمته الاجتماعية، ويكون الحوار هو المجال الذي يسعى فيه المحاور إلى حفظ وجهه بحفظ وجه مخاطَبه.

---

[100] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، سابق ، ص 240.

[101] نفسه، ص 241.

[102] نفسه، نفس الصفحة.

[103] نفسه، ص 243.

أما المفهوم الثاني فهو متعلق بالتهديد، أي الأقوال التي تهدد الوجه تهديدا ذاتيا وهي التي تعوق إرادة المتكلم أو المستمع في دفع اعتراض الغير وجلب اعترافه[104].

وللتخفيف من آثار التهديد يقترح براون و لفنصن أن يمتنع المتكلم من أداء القول المهدِّد، و أن يُعدِّل من القول المهدد من أجل دفع الأضرار بوجه المستمع، و أن يؤدي القول بطريق التعريض تاركا للمستمع أن يتخير أحد معانيه المحتملة.

### 3.3 مبدأ التأدب الأقصى و اعتبار التقرب:

اعتبره **جورج ليتش (Leech.G)** في كتابه "مبادئ التداوليات" (Pragmatic principles) مكملا و متمما لمبدأ التعاون [105]، و يورده في صورتين إحداهما سلبية و الأخرى إيجابية:

-قلل من الكلام غير المؤدب.

-أكثر من الكلام المؤدب.

و تتفرع عن هذا المبدأ (مبدأ التأدب الأقصى) قواعد يرى ليتشن أنها تجنبنا الوقوع في النزاع أو ما يمنع التعاون و هذه القواعد هي[106]:

**(أ) – قاعدة اللباقة :(Tact maxim)**

-قلل من خسارة الغير.

-أكثر من ربح الغير.

**(ب) قاعدة السخاء:(Generosity Maxim)**

- قلل من ربح الذات.

-أكثر من خسارة الذات.

**(ج) قاعدة الاستحسان:(Approbation maxim)**

- قلل من ذم الغير.

-أكثر من مدح الغير.

[104]طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، سابق ، ص243.
[105] نفسه، ص 246.
[106] نفسه، ص 247.

**(د)** قاعدة التواضع:**(Modesty maxim)**

- قلل من مدح الذات.
- أكثر من ذم الذات.

**(هـ) قاعدة الاتفاق: (Agreement maxim)**

- قلل من اختلاف الذات والغير.
- أكثر من اتفاق الذات والغير.

**(و) قاعدة التعاطف(Sympathy maxim)**

- قلل من تنافر الذات والغير.
- أكثر من تعاطف الذات والغير [107]

هذه القواعد عند **ليتش** تعزز التعاون بين المتحاورين وتبعدهم عن النِّزاع والاختلاف لأنها تحفظ الصلة الاجتماعية التي هي شرط التعاون. نمثل لذلك بالأمثلة الآتية:[108]

أ- **مُدَّني بمال.**

ب-**أريد أن تمدني بمال.**

ج-**هل تستطيع أن تمدني بمال.**

د-**ليتك تمدني بمال.**

فالجملة (أ) تدل على المعنى المباشر للأمر، وهي بالتالي أقل الأمثلة لباقة و الأكثر عرضة لفتح باب المنازعة، وأما (ب) فهي أكثر من (أ) لباقة فهي خبريَّة تترك للمخاطَب الاختيار في انجاز ما طُلب منه، أما (ج) فأكثر من (أ) و(ب) لباقة، جاءت في صيغة سؤال يفتح للمستمع باب الجواب بنعم أولا في حين تكون (د) أكثر الجمل لباقة لأنها تبيِّن عدم طمع المتكلم في وقوع المطلوب.

[107] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، سابق، ص 247.

[108] نفسه، نفس الصفحة.

وجد **طه عبد الرحمان** في دراسته لهذه المبادئ بعض الثغرات أوجبت ايجاد مبدأ يأخذ بالتقرب الصادق، ويجرده من الغرضية، فيجعله تقربا خالصا سماه بمبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص.

### 3-4-مبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص [109]

عُرِف هذا المبدأ في التراث الإسلامي وعَرَف صورا مختلفة منها " مطابقة القول للفعل وتصديق العمل للكلام" ويقضي هذا المبدأ بما يلي:

- لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك: ينبني هذا المبدأ على عنصرين أحدهما " نقل القول" والذي يتعلق بالجانب التبليغي من المحاورة، والثاني " تطبيق القول"، والذي يتعلق بالجانب التهذيبي. وتتفرع عن مبدأ التصديق في جانبه التبليغي هذه القواعد[110]:

-ينبغي أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب منفعة أو دفع ضرر.

-ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

-يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.

-ينبغي أن يأتي به المتكلم في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.

كما تتفرع عن مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي قواعد تتعلق بالقصد و الصدق والإخلاص[111].

وأهم ما يستخلص من كل هذه المباديء والقواعد التداولية هو أن الخطاب عملية تفاعلية بين اثنين أو أكثر تبنى على نوعين من المبادئ نوع تبليغي وآخر تهذيبي يكمل بعضها بعضا وتتفاعل فيما بينها حسب هدف المحاورة و علاقة المتحاورين وظروف الخطاب كلها.

[109] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، سابق، ص 249.
[110] نفسه، ص 249-250.
[111] نفسه، ص 250.

**3-5-شروط الخطاب الفاعل:**

لضمان استراتيجية للحوار و نجاحه، وضع طه عبد الرحمان مجموعة من الشروط تتلخص في عنصرين هما: شروط النص الاستدلالي، وشروط التداول اللغوي.

**3-5-1 شروط النص الاستدلالي**[112]:

**1 - النصية:** كل نص هو بناء مركب من عدد من الجمل السَّليمة والمرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات، وقد تكون هذه العلاقات بين جملتين أي الربط المثنوي أو بين أكثر من جملتين أي الربط الجمعي، كما قد يكون الربط بين الجمل ربطا مباشرا( الربط القريب)، أو ربطا تتوسطه علاقات أخرى تصل بين جمل وأخرى ( الربط البعيد).

**2- الاقترانية:** النص الاقتراني هو ما كانت جميع عناصره مرتبطة فيما بينها بعلاقة قريبة أو بعيدة، سواء كانت مثنوية أو جمعية .

**3 - الاستدلالية:** النص الاستدلالي هو ما كانت عناصره مقترنة بعلاقات استدلالية التي تربط بين الصور المنطقية لعدد معين من جمل النص. ويختلف النص الاستدلالي باختلاف ترتيب هذه الصور أو بذكرها أو حذفها وباختلاف قيمتها المنطقية .
فقد يكون النص الاستدلالي من النص التدريجي الذي تسبق فيه المقدمات النتيجة، أو من الصنف التقهقري الذي تأتي فيه النتيجة قبل بيان المقدمات...[113]

**1.5.3 شروط التداول اللغوي**[114]:

**1.النطقية:** وتقضي أن يتكلم المحاور لسانا طبيعيا إضافة إلى صحة الصيغ التي يستعملها، الصرفية و النحوية و الدلالية، و صحة أساليبه في التعبير و التبليغ.

[112] طه عبد الرحمان في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 35.

[113] نفسه، ص 36.

[114] نفسه، ص 37- 38.

**2.الاجتماعية:** إن المحاور يُطلع مخاطَبه بما يعتقده و ما يَعِرف مطالبا إياه مشاركته في اعتقاداته و معارفه، و في هذا يكمن البعد الاجتماعي للحوارية التي تقوم على التعاون من أجل تحصيل المعارف و اتخاذ القرارات و التوجه بها إلى العمل.

**3.الإقناعية:** إذا طلب المتكلم مخاطبه مشاركته اعتقاداته و معارفه فإنه لا يتوجه إليه بالإكراه و إنما يستعمل طرقا استدلالية تقنع المخاطَب و قد تمتزج سبل الاستدلال بسبل الإقناع فتكون أقدر على التأثير.

**4.الاعتقادية:** يعتقد المحـــاور بما هو مسـلم بـه و برأيه الذي يعرضــه على الغـير و بصحة الدليل الذي يقيمه على رأيه و لا يقتنع برأي الغير إلا إذا اعتقد أن هذا الرأي مقبول.

**4) بين سيرل و غرايس في مسألة الأفعال اللغوية غير المباشرة و الاستلزام الحواري.**

ذكرنا فيما سبق أن مفهوم **غرايس** للاستلزام الحواري المعمَّم يتقاطع مع مفهوم **سيرل** للأفعال اللغوية غير المباشرة، و أن **غرايس** يُرجع عملية فهم الاستلزام الحواري (الخاص) إلى السياق و المعرفة المسبقة ومعنى الجملة الحاملة للاستلزام و ليس إلى العرف، في حين نجد **سيرل** يعتمد على المواضعة و منها المواضعة اللغوية.

من هنا يبدو الفرق جليا بين مقاربة غرايس و مقاربة **سيرل**، ففي نظريَّة الأفعال اللغوية غير المباشرة يجد **سيرل** أن صيغ الأمر مثلا تحمل معها صيغا من الالتماس و التي يتم التعبير عنها بصورة غير مباشرة إذ لا نقول "**ناولني الملح**" أو "**آمرك بأن تناولني الملح**" بل نقول "**هل تستطيع أن تناولني الملح؟**"، و إذ يركز **سيرل** على مقصد المتكلمين فإن من يقول "**هل بإمكانك أن تناولني الملح؟**" لا يقصد السؤال عن قدرة المتكلم في أن يناوله الملح بل يقصد أن يناوله الملح فعلا.

و هنا يتساءل" **سيرل** " كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئا و يقصد شيئا آخر، و الأهم من ذلك كيف يمكن للمستمع أن يسمع شيئا و يفهم ما يقصده المتكلم أي الفعل اللغوي غير المباشر"[115]، و يرجع ذلك إلى "أن بعض الجمل تُستعمل تواضعيا لغرض الطلب غير المباشر كجملة "هل بإمكانك الوصول إلى الملح؟"[116] والتي تنجز فعلين لغويين: فعلا أوليا يتمثل في الالتماس و الذي يُنجز بواسطة فعل ثانوي هو السؤال. و الفعل اللغوي الذي ينوي القائل إنجازه بواسطة جملته إنما يتصل فقط بالعمل الأولي و هو ما ينبغي للمستمع تبنّيه، إلا أن "**سيرل** لا يتصور الدلالة إلا بكيفية تواضعية"[117]، و تقوم استراتيجيته حينئذ على افتراض أن تبين المقصد المعني يتحقق في الآن نفسه: (أ) بالقواعد الدلالية التي تنطبق على الأفعال اللغوية، (ب) بالمعلومات المحصلة سلفا

[115] Searle ,OP.Cit,p60.
[116] Ibid.
[117] جاك موشلار،آن ريبول، التداولية اليوم، سابق، ص 59.

ذات الصلة بالمعرفة المشتركة و كذا (ج) مقدرة المستمع على الاستدلال و الذي يشرحه سيرل في عشرة خطوات و(د) مبدأ التعاون الذي استعاره من عند **غرايس** [118].

ففي مثال قدمه سيرل [119] وهو كالآتي:

**أ) لنذهب لمشاهدة فيلم هذا المساء (اقتراح).**

**ب) علي أن أراجع للامتحان.**

وبتطبيق القواعد الدلالية للأعمال اللغوية تعرَّف (أ) إلى أن (ب) يخبره بأن عليه التحضير للامتحان، وباللجوء إلى المعارف المحصلة سلفا و كذا باستعمال مبدأ التعاون، أدرك (أ) أن (ب) يحتاج الوقت للمراجعة و لو ذهب لمشاهدة الفيلم لضاع وقت المراجعة.

إن الإخبار بضرورة المراجعة للامتحان هو فعل ثانوي يوصل المتلقي إلى معرفة الفعل الأولي الذي يتضمن رفض الاقتراح.

قول كهذا في نظرية **غرايس** يُفسَّر على أساس خرق لقاعدة المناسبة، و يفسر المثال الأول " **هل تستطيع أن تناولني الملح؟**" على أنه استلزام حواري معمم، فصيغة السؤال من أجل الطلب جارية في الاستعمال.

و لنأخذ الآن مثال الولد الذي يرفض تنظيف أسنانه بقوله إنه لا يشعر بالنعاس. كيف نفهم –حسب **سيرل**–أن الأمر متعلق برفض؟

لنفترض أن هذا يعد فعلا لـغويا غـير مباشر "إذن يكون فـعله الثانوي هو الإخبار و محتواه القضوي: "لا أشعر بالنعاس"، و لكن ماذا يكون الفعل الأولي لهذا الفعل غير المباشر، يبدو في الواقع أنه لا يوجد فعل أولي لهذا الفعل غير المباشر"[120]

[118] searle,Op.Cit, p 61-63.

[119] Ibid ,p 61.

[120] جاك موشلار، آن ريبول، التداولية اليوم، سابق، ص 60-61.

لنفترض وجود فعل غير مباشر يكون عمله الأولي فعلا متضمنا في القول هو **الإخبار**: "لا أرغب في تنظيف أسناني" منجَزا بواسطة فعل ثانوي يوافق فعلا متضمنا في القول هو **الإخبار**:" لم يداعب النعاس أجفاني" فكيف يكون لفعل غير مباشر فعلا أوليا و فعلا ثانويا له القوة المتضمنة في القول نفسها (الإخبار).

و في المقابل نجد **غرايس** يشرح هذا القول بأنه استغلال لقاعدة العلاقة / المناسبة و لا يجد صعوبة في تطبيق الاستدلال عليه؛ إن رفض تنظيف الأسنان يشكل استلزاما حواريا خاصًّا، فــلا توجد مواضــعة هنا تمكـن من إيجاد علاقة تواضــعية بين النــوم و تنظيف الأسنان.

و لهذا فإن مقاربة **سيرل** التواضعية تفشل في تفسير الاستلزامات الحوارية في كثير من الأحيان بينما تمكن مقاربة **غرايس** من ذلك.

و بالرغم من نجاح **غرايس** في تفسير الاستلزامات الحوارية إلا أن نظريته هذه في الحوار لا تفسر سبب لجوء المتكلم إلى طريقة التواصل الضمني و نجد أول نظرية حاولت أن تقوم بذلك هي نظرية الملاءمة / الحصافة **لسبربر و ولسون**.

## 5.نظرية الملاءمة /الحصافة لدان سبربر و دردر ولسن.
## La théorie de la pertinence : Dan Sperber et Derder Wilson.

حاول –بعد **غرايس**–عدد من ورثته تقديم وصف أوسع لآلية توليد الاستلزامات الحوارية و نخص بالذكر هنا **سبربر** و **ولسن** في بداية الثمانينات اللذان انطلقا من نقد بناء لفرضيات **غرايس** ليؤسسا نظريتهما "الملاءمة"(Relevance) و التي انطلقت من تطوير قاعدة من قواعد **غرايس** الحوارية هي قاعدة المناسبة.

حيث "يرى **سبربر** و **ولسن** أن قاعدة المناسبة تكفي لتنوب عن جميع القواعد الأخرى"[121] عن قاعدة الكم التي تتطلب أن تكون مساهمة المتكلم كافية بدون زيادة أو نقصان، و عن قاعدة النوع التي تقضي بأن يقول المتكلم ما يعتقد صحته و أن تكون له أسباب معقولة ليعتقد ذلك، و عن قاعدة الكيف أو الطريقة التي تفرض على المتكلم التحدث بوضوح و نظام و يمكن تعويض هذه القواعد بقاعدة واحدة هي قاعدة المناسبة، التي تقضي بأن يكون كلامنا مناسبا، وهذا يعني إن تقدم كمية المعلومات المطلوبة دون إرهاق المخاطَب بحشد من التفاصيل الزائدة، و أن تصْدُق القول و تتكلم بوضوح و دون لبس، "وهو أيضا ما يتوافق مع مبدأ التعاون لدى **غرايس**"[122]

### 1.5 كيفية تأويل الأقوال عند سبربر وولسن.

يعتمد **سبربر** و**ولسن** – مثل **غرايس**–في تأويل الأقوال على الاستدلال لأنهما لا يؤمنان بأن الرؤية الترميزية للغة (الدراسة الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية) كافية لوحدها لتأويل الأقوال، ومن ثَمَّ فإن الحاجة إلى التداولية ضرورية للتمكين من فهم المضامين التي يبلِّغها القائل التي يضل عدد كبير منها غير صريح[123].

[121] Martine Bracops ,OP.Cit, p 104.
[122] Ibid.
[123] ينظر جاك موشلار،آن ريول، التداولية اليوم، سابق، ص 70– 71.

لذلك "يدمج **سبربر** و**ولسن** نظريتهما التداولية هذه في تيار معين من علم النفس المعرفي هو تيار المنظومية"[124] (Modularité)، و الذي يمثل بدوره نظرية اقترحها الفيلسوف و عالم النفس الأمريكي **جيري فودور** (**Jerry Fodor** ).

يرى **فودور** أن اشتغال الذهن البشري تراتبي و تجري فيه معالجة المعلومة مهما كان مصدرها (مرئي، سمعي، ذوقي، لغوي...) عبر مراحل متتابعة و كل مرحلة تقابل مكونا من مكونات الذهن هي: المحوِّلة و النظام الطرفي (Système périphérique) و النظام المركزي (système central) .

فعندما يسمع الشخص صوتا ما أو يرى شيئا ما أو يسمع قولا ما ... فإن معطيات الإدراك الحسي هذه تعالَج في محولة تترجمها إلى نسق يحوَّل إلى المرحلة التالية. تعالَج هذه الترجمة بواسطة نظام طرفي يتمثل في منظومة مختصة في معالجة المعطيات التي تدركها الحواس، لذلك يوجد لكل معطىً حسي نظام مختص بمعالجته، كما يوجد نظام مختص بمعالجة المعطيات اللغوية فتؤوَّل تأويلا أوليا (ترميزيا)، ليصل هذا التأويل في مرحلة ثانية إلى النظام المركزي الذي تقع عليه مهمة إتمام التأويل.

"يذهب **سبربر** و **ولسن** إلى أن اللسانيات توافق منظومة طرفية مختصّة بمعالجة المعطيات اللغوية بينما تندرج التداولية بوضوح ضمن النظام المركزي"[125] أين يتم تأويل الأقوال تداوليا.

## 2.5 السياق في نظرية سبربر وولسن و مفهوم التواصل الاستدلالي الإشاري:

يتعلق التضمين بما يراد قوله و ليس بما قيل و يحتاج المتلقي إلى معطيات تشكل لديه مجموعة فرضيات لأجل تأويل القول تأويلا مناسبا و منسجما[126].

[124] جاك موشلار،آ ن ريبول، التداولية اليوم، سابق ، ص 72.

[125] نفسه، ص 75.

[126] voir Martine Bracops :Introduction à la pragmatique , p 117.

في البداية تقدِّم الصيغة المنطقية للقول معلومات هي عناوين المفاهيم التي سنبحث عنها في الذاكرة البعيدة، تمكن هذه العناوين من التوصل إلى المعلومة الموجودة في المفاهيم المعنية و تكون أساسا لبناء الاستدلال فيما بعد. هذه المعطيات الأولية تُستقى من المعرفة الموسوعية و المشتركة بين الجماعة البشرية، "و لكن خارج الإطار المشترك ينحو كل فرد نحو تطوير معرفة خاصة به"[127] هي مجموعة المعارف الفردية حول العالم، مثال:

**-هل تريد شرب الشاي؟**

**-الشاي يمنعني من النوم.**

فكون الشاي يمنع من النوم يشكِّل معرفة عامَّة حول العالم يجدها المتكلم ضمن معارفه الموسوعية.

يضاف إلى هذه المعطيات الأولية (الصيغة المنطقية للقول و المعارف الموسوعية) معطيات ثانوية تتشكل من معطيات مستقاة من مقام التواصل و تأويل القول السابق "يرى **سبربر** و**ولسن** أن هذه المعطيات الثانوية تشكل ما يسمى بالسياق"[128]، ولنفترض الحوار التالي:

**-أنا ذاهب إلى مكتب البريد.**

**-الساعة الخامسة و النصف.**

في هذه الحالة لا يساعد مقام التواصل أو تأويل الأقوال السابقة في فهم هذا القول، فكيف يفسِّر المتحاور الأول هذه الإجابة؟

لا توجد علاقة بين الذهاب إلى مكتب البريد و الساعة الخامسة و النصف؛ فيُستعمل هنا قول المتحاور الثاني كمعطى لتأويل القول: اختار المتكلم قول "الخامسة و النصف" كرد فعل لعزمي الذهاب إلى مكتب البريد؛ و يستعمل المتحاور الأول معارفه الموسوعية ليفهم قول الثاني: بعض مكاتب البريد يتوقف عن العمل قبل الخامسة

[127] مفتاح بن عروس، الاتساق و الانسجام في القرآن، رسالة دكتوراه، إشراف زبير سعدي والحواس مسعودي، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر،2007-2008، ص178.

[128] Martine Bracops,OP.Cit, p 118.

و النصف، هذا المعطى يمكّن المتحاور الأول من تأويل القول: إذن المكتب الذي أنا ذاهب إليه يغلق أبوابه قبل الخامسة و النصف.

يعتبر **سبربر** و**ولسن** أن "السياق ليس معطى دفعة واحدة، و إنما يُبنى قولا بعد قول"[129]، فيكون بهذا كل تأويل لقول سابق هو سياق لتأويل قول لاحق،"أي أنه يشكل المقدمات التي تسمح بالوصول إلى الضمنيات"[130].

و قد اقترح **سبربر** و**ولسن** أيضا مفهوم التواصل الإشاري الاستدلالي الذي يرتبط بالمقصدين: " الإخباري، أي ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطَبه على معرفة معلومة معينة، و المقصد التواصلي أي ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة بقصده الإخباري"[131]، و هو المفهوم نفسه الذي جاء به غرايس في حديثه عن الدلالة غير الطبيعية، و يقصد به **سبربر** و**ولسن** مايلي: " يوجد تواصل إشاري استدلالي عندما يبلِّغ شخص ما شخصا آخر بواسطة عمل معين مقصده المتمثل في إبلاغه معلومة معينة"[132]، أي إبلاغ المخاطَب مقصد المتكلم(م) أي ما تحمله صيغة الجملة المنطقية من معلومة و التي يبلِّغ بواسطتها مقصده التواصلي، و هو ما يريد تبليغه من خلال ما قاله.

و ما يلفت الانتباه هو أنه يدخل في التواصل الاشاري الاستدلالي التواصل اللساني و غير اللساني، فلو أمسك أحد يد آخر و أشار إلى السحب الكثيفة في السماء ليحذِّره من الأمطار الغزيرة أو العاصفة، فإنه يكون قد استعمل تواصلا استدلاليا إشاريا دون أن يستعمل اللغة.

[129] جاك موشلار، آن ريبول، التداولية اليوم، سابق، ص 77.

[130] مفتاح بن عروس، سابق ص179.

[131] جاك موشلار، آن ريبول، نفسه، ص 79.

[132] نفسه، ص 80.

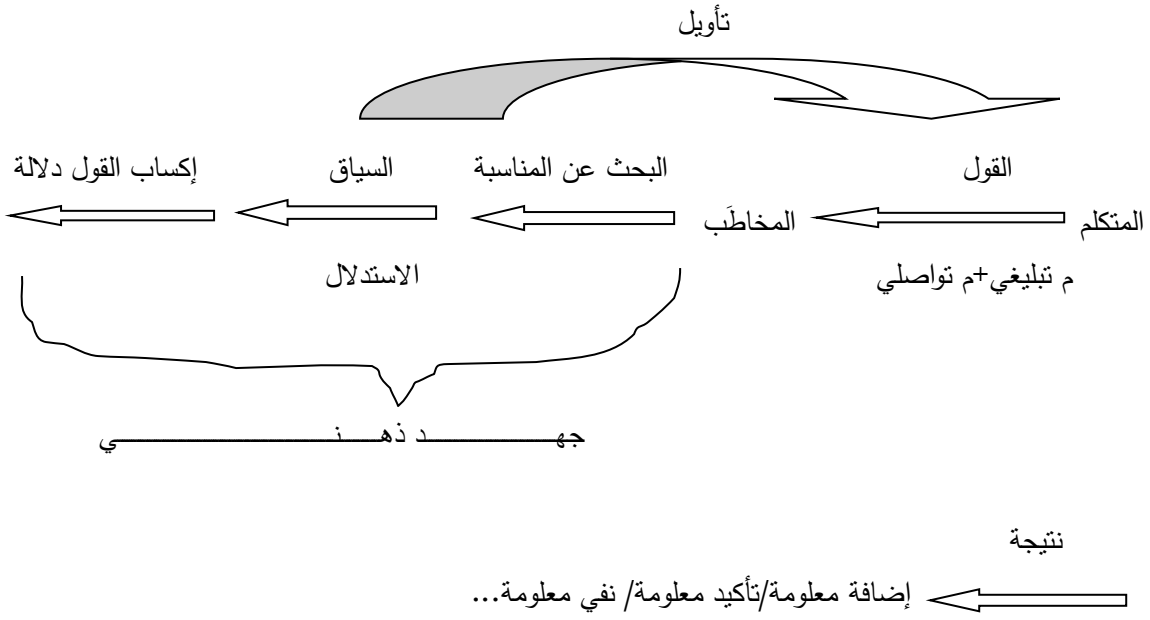
"يولِّد التواصل الاستدلالي الاشاري انتظارا للمناسبة"[133]، و ينطبق ذلك أيضا على التواصل غير اللغوي كما حدث مع الشخص الذي أشير له بالسُّحب، تلك السُّحب تكتسب مناسبة معينة و سيعمل المخاطَب على أن يُكسبها دلالة، لكن هذا يتطلب مجهودا من قبل المخاطب، فهو يبحث عن مقدمات منطقية ضمن المعطيات الموسوعية، و أن يقوم باستدلال يقوده إلى نتيجة أو نتائج عديدة: فقد تكون السحب تُنبئ بعاصفة تفرض البقاء بالبيت.

فالمناسبة إذن عند **سبربر و ولسن** هي مسألة جهد (خاصة الجهد من أجل بناء السياق) و نتائج. و عليه فكلما زاد جهد العمل الاشاري الاستدلالي قلَّت مناسبته، و كلما كان لعمل التواصل الاستدلالي نتائج أكبر ازدادت مناسبته.

و تكون النتائج إما إضافة معلومات و هو ما سماه الباحثان استلزامات سياقية، و إما التغيير في قوة الإقناع باعتقاد ما، و إما إلغاء معلومة قديمة تناقضها معلومة جديدة أكثر إقناعا.

و تكون العملية الاستدلالية مناسبة إذا كان المخاطب يجني بقدر ما ينفق من جهد في تأويل الأقوال (المردودية)، و تتوقف العملية الاستدلالية عند بلوغ الهدف المنشود، أي حين توازِن النتائج الجهود المبذولة، و المخطط الآتي يوضح التواصل الاستدلالي الإشاري:

[133] Martine Bracops,Op.Cit, p 103.




وهكذا يكون **سبربر** و **ولسن** قد انطلقا من قاعدة غرايسية، لكنهما تمكنا من إضفاء الكثير من البحث في المجال التداولي اللغوي، فقد شرحا الكيفية التي يتم بها الاستدلال على مستوى الذهن ووظيفة الجهاز المركزي في تأويل الأقوال ليدخلا بذلك مجال العلوم الإدراكية المعرفية.

و قد ركّزا على أهمية السياق الذي يبنى قولا بعد قول بفضل المعطيات المتوفرة في الصيغة المنطقية للجملة و المعرفة الموسوعية و مقام التواصل، ليكون عملهما تكملة لما جاء به **غرايس** و توضيحا لما كان عالقا في بحوثه، و يقع التركيز الأكبر في أبحاثهما على جانب التلقي حيث تقع عملية تأويل الأقوال حسب الجهد المبذول، ليكون بذلك غرايس قد فتح المجال بنظريته في الحوار للباحثين بالتطوير و التوضيح في المجال التداولي.

# الفصل الثالث

# الاستلزام الحواري في سورة "طه".

-تمهيد

1-بنية سورة طه.

2-السياق العام لسورة "طه".

3-الاستلزام الحواري في سورة "طه".

3 -1 الحوار في قصة سيدنا موسى عليه السلام من البعثة إلى حادثة العجل.

3-1-1حوار موسى عليه مع ربه سبحانه وتعالى.

3-1-2 حوار موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون.

3 -1-3 محادثة بين موسى عليه السلام والسحرة وفرعون يوم المباراة.

3 -1-4 حوار موسى عليه السلام مع ربه عز وجل بجانب الطور.

3 -1-5 حوار موسى عليه السلام مع قومه ثم مع هارون عليه السلام ثم مع السامري.

3 -1-5-1 حوار موسى عليه السلام مع قومه.

3 -1-5-2 حوار موسى عليه السلام مع أخيه هارون.

3-1-5-3 حوار موسى عليه السلام مع السامري.

3 -2 حوارات عن أحوال يوم القيامة.

3-2-1 حوار المجرمين بعضهم لبعض.

3-2-2 حوار الكفار مع النبي صلى الله عليه سلم حول مصير الجبال يوم القيامة.

3-3 الحوار في قصة سيدنا آدم عليه السلام.

خلاصة.

**تمهيد:**

رأينا في الفصل السابق أن **غرايس** توصل من خلال بحثه في مجال التواصل أن المتكلم لا يقصد دائما ما يقول، أي أن الجملة التي يتلفظ بها لا تعني دائما ما تدل عليه الكلمات المكونة لها، ويتم معرفة مقصد المتكلم عن طريق عملية الاستدلال غير البرهاني الذي يعتمد بدوره على صحة المعطيات التي هي أساس صحة النتائج.

وقد اعتبر **غرايس** التعاون وتقاسم الأهداف بين المتحاورين أساس نجاح التبادلات الحوارية، كما أن نجاح العملية التواصلية متوقف على مدى احترام قواعد الحوار الأربعة: الكم والكيف والمناسبة والكيفية، فإذا تم خرق هذه القواعد فإن معاني الملفوظات تتحول من الصريح إلى المستلزم، ويكون الاستلزام الحواري إما عرفيا وإما معمما أو خاصا.

و في حالة خرق إحدى القواعد مع احترام المبدأ العام وهو مبدأ التعاون، فإن هذا الخرق يسمى استغلالا للقاعدة حيث يتمكن المخاطب من معرفة المعنى المقصود من قبل المتكلم و ينجح التواصل.

و قد يخرق المتكلم قاعدة ما لفائدة قاعدة أخرى، وقد يرفض المتكلم التعاون ويتعمد الكذب فيخرق بذلك قاعدة من قواعد الحوار بالإضافة إلى عدم احترام مبدأ التعاون فيضلّل بذلك مخاطَبه.

وتسري جميع حواراتنا اليومية على هذا النحو، وإن كان القرآن الكريم يحمل في طياته آيات عديدة واردة في شكل حوار، فهو أكيد يجمع بين المعاني المباشرة والمعاني الضمنية التي سنحاول تسليط الضوء عليها في النموذج الذي اخترناه وهو الحوار في سورة "طه".

ونلفت الانتباه إلى أننا سنخرج من حين إلى آخر إلى سور أخرى من القرآن الكريم لنورد حوارات من نفس القصص كما هو الشأن مع قصة سيدنا موسى عليه السلام التي تتوزع على سور عديدة من الكتاب كسورة الشعراء والأعراف والقصص وكذا قصة سيدنا آدم عليه السلام (سورة البقرة مثلا)، وذلك من أجل التعرف أكثر على سياق الحوار وللاستفادة في التحليل ممّا ذكر في السور الأخرى ولم يذكر في سورة طه.

وبما أن الحوار في القرآن الكريم مسرود، فإننا سنجرده من السرد ونحلّل القول آخذين بعين الاعتبار المتكلم، وبالتالي يمكن دراسة ما سرده الشارع الحكيم عن فرعون –مثلا–على أنه قول فرعون.

غير أننا في الآن نفسه سنتجنب استعمال مصطلحات كـ "احترام القواعد" و"خرق القواعد"، وتأدبا مع القرآن الكريم سنوظف مصطلحات بديلة كمطابقة المقام (وهومصطلح استعمله السكاكي) أو مطابقة القواعد وعدم المطابقة.

و نضيف أننا سندرس الحوار في هذه السورة حسب بنيتها، لندرج تحت كل قصة في سورة طه الحوارات أو المحادثات التي وردت فيها. وعليه فإننا سندرج في البداية بنية السورة ثم سياقها العام أو المناسبة التي نزلت فيها، ونبّين قبل دراسة كل محاورة سياقها الذي وردت فيه مع تقديم المتكلم والمخاطب (المتحاورين) والعلاقة بينهما.

**1–بنية سورة طه:**

استنادا إلى التقسيم الموضوعي الذي أورده الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" فإن بنية السورة تتضح لدينا كالآتي:

تبدأ السورة كما تُختم بخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم لبيان مهمته وحدود تكاليفه، فليست بشقوة فُرضت عليه وليست عناءً كُتب عليه، وإنما هي فضيلة الدعوة والتذكرة؛ دعوة الخلق إلى عبادة الله الواحد الذي لا إله غيره، خالق الكون والعالِم

بأسراره والخبير بظواهر القلوب وخوافيها، وتذكريهم بيوم يرجعون فيه إلى الله، وليس عليه صلّى الله عليه و سلّم من شيء إذا لم يؤمنوا، ولا يشقى إذا كذّبوا وكفروا بعد ذلك.

وبين البداية والنهاية، تعرض السورة لمحورين أساسيين ينضوي تحتهما مجموعة من الموضوعات.

أما المحور الأول (البنية الكبرى الأولى)، فيضم قصة سيدنا موسى عليه السلام من بداية الرسالة إلى اتخاذ بني إسرائيل العجل بعد خروجهم من مصر بالتفصيل حتى ما جرى بين مختلف الأطراف من حوار.

وتمثل هذه القصة نموذجا كاملا لرعاية الله عز وجل لأنبيائه ورسله، فلا يشقون بها، بل هم في رعايته وحفظه.

وتضمّ قصة سيدنا موسى عليه السلام في هذه السورة مواقف عدة هي:

- موقف المناجاة بين الله تعالى وكليمه موسى عليه السلام.
- موقف المباراة بين موسى والسحرة.
- موقف التأنيب بين موسى وقومه وبين موسى وهارون عليهما السلام ثم موسى عليه السلام و السامري.

أما المحور الثاني (البنية الكبرى الثانية) للسورة فيضم قصة سيدنا آدم عليه السلام، و إغواء الشيطان له ولزوجه ثم رحمة الله تعالى بآدم بعد خطيئته وهدايته له، وترك أبنائه من البشر يختارون الهدى أو الضلالة.

وتحيط بالقصة مشاهد القيامة وكأنها تكملة لقصة آدم عليه السلام حيث يذهب كل – حسب عمله – إلى الجنة أو إلى النار تصديقا لما قيل لأبينا وهو يخرج من الجنة إلى الأرض.

وفي ثنايا القصص في سورة طه – كما في كل السور القرآنية – نجد حوارات مهمة بين مختلف الأطراف المشاركة في القصص، وقد أضافت هذه الحوارات تفاصيل

دقيقة ما كان للسرد أن يحل محلها، ويكشف الحوار في ضروب عدة من السورة عن نوايا المتحاورين كما يبين طبيعة العلاقات بينهم.

ونشير هنا بأننا سنورد الحوارات كما وردت في السورة دون أن نغير الترتيب أي أننا سنحافظ على ترتيب المواضيع في سورة طه مبتدئين بقصة سيدنا موسى عليه السلام حيث ندرج ثمة الحوارات الآتية:

-حوار موسى عليه السلام مع ربه بالواد المقدس طوى أين كُلّف بالرسالة وأُعطي الآيتين: تحول العصا ثعبانا وإخراج يده بيضاء من دون سوء.

وفي هذا الحوار أُمر عليه السلام بالذهاب إلى فرعون وكُلّف بدعوته للرجوع إلى ربه وخشيته تعالى، وهو ما جعل موسى عليه السلام يسأل الله تعالى أن يشد أزره بأخيه هارون عليهما السلام.

-حوار موسى عليه السلام مع فرعون و مطالبته بإطلاق سراح نبي إسرائيل، وتكذيب فرعون بدعوة موسى واتفاقهما على المباراة.

-محادثة بين موسى عليه السلام والسحرة ودعوته لهم بعدم الافتراء على الله.

-حواره تعالى مع موسى يلومه لتعجله عن قومه الذين أضلهم السامري.

-حوار موسى عليه السلام مع قومه يؤنبهم لاتخاذهم العجل آلهة من دون الله.

-حوار موسى مع هارون عليهما السلام يلومه لسوء خلافته في قومه.

-حوار موسى عليه السلام مع السامري وتحديده لعقوبته الأبدية في الدنيا.

أما في ثنايا قصة آدم عليه السلام فنجد الحوارات الآتية:

-حوار المجرمين بعضهم مع بعض يوم القيامة حول مدة مكوثهم في القبر.

-كلام الشيطان لعنه الله مع آدم عليه السلام وإغرائه بالملك والذي جاء على شكل وسوسة.

-خطابه تعالى مع آدم عليه السلام وعفوه عن خطيئته.

-حواره تعالى مع من أعرض عن ذكره وإجابته تعالى عن تساؤله وحيرته عن سبب حشره أعمى.

**2-السياق العام لسورة "طه":**

حسب ترتيب النزول، فإن سورة "طه" تدخل في زمرة السور التي نزلت في الوقت الذي ازدادت فيه حدة توتر العلاقة بين مشركي قريش و النبي صلّى الله عليه و سلم، لأن الدعوة المحمدية كانت قد دخلت "مرحلة التركيز على التوحيد ما يعبر عنها في كتب التفسير و السيرة بـ (التعرض للأصنام)"[1]

و هي فترة تميزت بمعارك قوية ضد الشرك و عبادة الأصنام، و في المقابل تعرض النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه إلى شتى أنواع الأذى، كان من نتائجها اضطرار الكثير من المسلمين للهجرة إلى الحبشة بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بوجود ملك فيها لا يظلم عنده أحد و كان ذلك بين السنتين الخامسة و السادسة للنبوة و هي الهجرة الأولى.

و لعل أهم ما ورد بصدد هذه السورة هو ربطها بهجرة المسلمين إلى الحبشة وكذلك ارتباطها بإسلام عمر بن الخطاب[2] الذي كان قبل إسلامه يتصدى للإسلام و يخافه المسلمين حتى إنهم كما كان عبد الله بن مسعود يقول:"ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة، و صلينا معه."[3]

ونزلت هذه السورة لتسلي النبي صلى الله عليه و سلم و تثبت فؤاده و تهون عليه ما يلقاه من إعراض قريش، و تؤكد له أن الله تعالى لم ينزّل عليه القرآن ليجعل منه سببا

[1] محمد عابد الجابري، فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،ط4،2012، ص209.

[2] نفسه، ص294.

[3] نفسه، ص295.

للشقاء[4] و المعاناة ولا ليفرضه على قريش، فالقرآن إنما هو تذكرة، وأما من أصر على الكفر فسيلقى جزاءه.

و رُوي عن سبب نزول هذه السورة[5] قول مقاتل: قال أبو جهل و النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه و سلم: إنك لتشقى بترك ديننا. و ذلك لما رأياه من طول عبادتــه و اجتــهاده، فأنزل الله تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ (طه: ١ – ٢)

و ما جاء أيضا في كتاب الواحدي النيسابوري[6]: أخبرنا أبو يحي قال: حدثنا أبو مالك عن جرير، عن الضحاك قال: لمّا نزل القرآن على النبي صلى الله عليه و سلم قام هو و أصحابه فصلوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد صلى الله عليه و سلم إلاّ ليشقى به. فأنزل الله تعالى: "طه "، يقول يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى".

وفي القصص تسلية من حيث هو قَصٌّ يشد انتباه المستمع إلى أحداثه و أبطاله و يبعده عن هموم اللحظة الحاضرة، كما أنه يتناسب مـع حال الرسول صلى الله عليه و سلم؛ فبطل القصة رسول مثله مكلف بالرسالة و يواجه قوما يعارضونه و النتيجة دائما تكون بتعرض الطرف المصرّ على رفض الدعوة للعقاب في الدنيا فضلا عن عقاب الآخرة.

و الموضوع هنا قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، غير أن الاختلاف يكمن في الآيات أو المعجزات التي كانت مادية لمواجهة فرعون و تمثلت في القرآن

[4] الجابري، سابق، ص305

[5] علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان ،1991، ص312.

[6] نفسه، ص312.

الكريم عند سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات و أزكى التسليم و الذي يخبر عن الأقوام السابقين و عن الذين كذبوا رسلهم و الوعيد الذي ينتظر مشركي قريش، و تأتي المعجزات تبعا لخصوصية كل قوم و زمان.

و تتدخل في صنع الخطاب ذوات لسانية تساهم في ترسيخ مقام التلفظ[7] كموسى عليه السلام و السحرة و هارون عليه السلام و فرعون...، ومخاطِب و مخاطَب آخران هما الله جلّ جلاله و النبي محمد صلى الله عليه و سلم، و اللذان يحيلان على الذوات المتعالية أو الخارج لسانية، و التي تساهم في ترسيخ مقام التبليغ[8].

## 3-الاستلزام الحواري في سورة "طه".

### 3-1 الحوار في قصة سيدنا موسى عليه السلام من البعثة إلى حادثة العجل:

#### 3-1-1 حوار موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى:

يقع تحاور موسى عليه السلام مع ربه بشكل مباشر في الواد المقدس المسمى طوى، وقُدّس لنزول كلام ربنا تعالى به[9]، ولذا طُلب من موسى عليه السلام نزع نعليه فيه، وكان موسى قادما مع أهله من مدين متجها إلى مصر، وعند حلول الظلام تقدمهم لإحضار قبس من نار رآها تشتعل في شجرة.

وقد كانت بداية سرد قصة سيدنا موسى عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشيء من التشويق- رغم أنها قُصّت عليه من قبل في سورة الأعراف بحكم ترتيب نزول القرآن الكريم - فقد قال تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ ﴾ (طه: ٩)، ومع أن هذا لا يدخل في باب الحوار كون هذا السؤال لا يجد ما يقابله من رد أو

[7] Nathalie Garric, Frédéric Calas :Introduction à la pragmatique, Hachette, Paris, 2007, p23.
[8] Ibid.
[9] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر،1984،ج16 ، ص196.

جواب، إلا أننا ارتأينا أن نبدأ به لأنه بوّابة قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة طه، أي بداية سرد الأحداث وسرد الحوار أيضا، علما أن استعمال صيغة السؤال هنا ليس لغرض الاستفهام، وإنّما لغرض التشويق إلى الخبر وهو ما يناسب مقام الحكي، وتم الانتقال من المعنى الصريح (الاستفهام) إلى المعنى الضمني عن طريق **الاستلزام الحواري المعمم**، فهذا شائع الاستعمال، ولذلك أردف الحديث بـ ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴿١٠﴾ ﴾ (طه: ١٠ ) و (إذ) ظرف للحديث وخصّ هذا الظرف بالذكر لأنه يزيد تشويقا إلى استعلام الخبر، لأن رؤية النار تحتمل أحوالا كثيرة[10].

عند وصول موسى عليه السلام إلى الواد المقدس طوى بدأ تحاوره مع الله تعالى وهذا نص الحوار:

- **الله تعالى:** يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ (طه: ١١ – ١٦)

﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (طه: ١٧)

- **موسى عليه السلام:** ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ (طه: ١٨)

- **الله تعالى:** ﴿ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ طه: ١٩ )، (فألقاها، فإذا هي حية تسعى).

- ﴿ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ (طه: ٢١ – ٢٣)

- ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ (طه: ٢٤ ).

[10] الطاهر بن عاشور، سابق ، ص 194.

- **موسى عليه السلام:** ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ ﴾ (طه: ٢٥ - ٣٥ )
- **الله تعالى:** ﴿ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ ﴾ (طه: ٣٦)

كان سبحانه وتعالى أول من باشر في الكلام مناديا موسى عليه السلام باسمه: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾

وقد استعمل القرآن الكريم فعل النداء مبنيا للمجهول لكون موسى عليه السلام يجهل مصدر الصوت، ثم إنّ الخبر في "إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ " جاء مؤكدا بحرف " إنّ " لأن المخاطَب حسب "**السكاكي**" في مقام تردد ويأتي الخبر محققا ب 'إن' دفعا للشك في نفسه عن مصدر هذا الكلام الذي يبلغه بدون وساطة الملائكة وبهذا يكون لدينا متكلم (جلّ جلاله) عرّف بنفسه قبل الشروع بتناول موضوع الخطاب الأساس، وقد خالط كلامه تعالى الرفق فاستعمل النداء باسم المخاطَب الخاص "موسى" لبعث الطمأنينة في نفسه حتى لا يخاف ويتشتت فكره وليكون مؤهلا للاستماع لما يوحى إليه من الأمر بالعبادة والصلاة ... . وقبل ذلك كلفه تعالى بالرسالة فقال ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ وفي هذا القول **اقتضاء** حسب علم أصول الفقه وتقدير الكلام "وأنا اخترتك لتبلغ وحيي ورسالتي"، وماعدا الاقتضاء فكل كلامه تعالى جاء صريحا **مطابقا للمقام** لأن كلامه مع نبيه يقتضي الإفصاح و يتناسب معه، كما أن الأمر يتعلق بالرسالة ولا يحتمل التضمين أو الإشارة، وهو ما ورد في سورة القصص حين قال تعالى في نفس السياق (بعثة سيدنا موسى): ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ ﴾ (القصص: ٣٠) كلام واضح مباشر مؤكد بـ " إن " كذلك لطرد الشك عن نفس المخاطَب.

بعد أن عرّف تعالى بنفسه عز وجل وعرّف موسى عليه السلام بمهمته، أراد أن يُرِيَ موسى عليه السلام معجزته التي سيباري بها عدوّه، لكن كلامه تعالى كان لطيفا

بسيطا فيسأله عن شيء ليس ذا قيمة كبيرة يمسكه بيده وهو " العصا " لكي يُشعر موسى عليه السلام بالراحة والطمأنينة، ومع هذا فإن سيدنا موسى يعلم أنه يكلم رب السماوات والأرض، خالق الكون، الذي ليس كمثله شيء، يدرك عظمته فيشعر بالرهبة وجلالة الموقف، فالعلاقة بين المتحاورين هنا ليست كأي علاقة، إنها علاقة الخالق بالمخلوق، غير أن الخالق هنا يترفق بمخلوقه.

- **يقول تعالى:** ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (طه: ١٧)

هو سؤال يطرحه تعالى على نبيه موسى عليه السلام و يبدو في ظاهره استفهاما عن ماهية العصا، غير أن القصد منه التنبيه لأمر غريب في شأنها[11]، وهو **استلزام حواري معمّم**، جار في الاستعمال، كأن يشير أحد إلى شيء ويقول: أتعلمون ما هذا؟ لا لأنه يجهل هذا الشيء ولكن ليلفت الانتباه إلى أهميته[12]، وفي السؤال أيضا إشارة إلى أنه سيخبره شيئا غريبا عنها.

ويجيب موسى عليه السلام عن السؤال﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ بما يلي:﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ (طه: ١٨ )، يجيب موسى عليه السلام عن ظاهر السؤال فيقول: هي عصاي وكان جوابه كافيا، لكنه عقّب جوابه ببيان الغرض من اتخاذها مستغلا قاعدة الكمية الثانية رغبة منه في المكوث أكبر وقت ممكن مع الخالق تعالى[13] والتشرف بهذا المقام.

- **قال تعالى:** ﴿ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾طه: ١٩ )

[11] الطاهر بن عاشور، سابق، ص 205.

[12] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، تقديم هاني الحاج، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر، 2003، ج22، ص 19.

[13] نفسه، ص 29.

يأمر الله تعالى في هذا القول موسى عليه السلام بإلقاء عصاه ليتضح أن سؤاله ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ مجرد وسيلة إلى غرض سيأتي و أيضا للتنبيه إلى أهمية المسؤول عنه.

والأمر في "أَلْقِهَا " ليس للطلب في حدّ ذاته وإنّما لغرض تبيان شيء ما يخص العصا، وهو **فعل لغوي مباشر** – حسب أستين وسيرل – يقتضي الاستجابة بإلقاء العصا احتراما لمبدأ التهذيب (روبن لاكوف): "كن مؤدبا" وذلك كون الأمر صادرا من مقام أعلى (الله تعالى) وهو ما فعله سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ (طه: ٢٠)

أما من ناحيته سبحانه وتعالى فقد قال: " أَلْقِهَا " وأردفها بقوله "يَٰمُوسَىٰ " ليستأنس موسى عليه السلام، ويدخل ذلك في قاعدة التودد عند "لاكوف" والتي تتعلق بالتعاملات الحوارية التي يكون فيها المتكلم أعلى مرتبة من المستمع وذلك باستعمال صيغ خاصة كاستعمال الاسم الأول، هنا "موسى".

- **قال:** ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ (طه: ٢١)

حين ألقى موسى عليه السلام عصاه تحولت إلى ثعبان، عاد سبحانه وتعالى وأمره بأخذها ثانية قائلا: " خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ " مشيرا إلى أن موسى عليه السلام خاف منها على عادة الطبع البشري وهذه دلالة إشارة من النص حسب علم أصول الفقه، وعلّل سبحانه وتعالى نهيه موسى عليه السلام عن الخوف بقوله "سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ "[14]، فلا داعي للخوف لأنه مع رب العالمين القادر على كل شيء، وليزيد طمأنته أمره بأن يضمم يده إلى جناحه لتعود سليمة كما كانت ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ (طه: ٢٢) ليكون الأمر هنا للطلب والنهي لطلب الكف عن الخوف،

[14] برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي،1995، ج5، ص 16.

ومع كفاية القول هنا ووضوحه ومناسبته لمقام الاستعلاء إلاّ أن المتكلم (الله سبحانه) أضاف معللا ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ تماما كما أضاف مع﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ تعليلا: ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ ، وكذلك في أمره إياه بالذّهاب إلى فرعون قال تعالى:﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ معللا: ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾(طه: ٢٤)، وهذا التعليل إنما هو حجة تداولية على حد قول برلمان وتيتيكا[15] لدعوة فرعون للكف عن طغيانه وتعذيب بني إسرائيل، وهذا التعليل (أو الحجة) إنما هو إضافة استُغلت من خلالها قاعدة الكمية الثانية، وهذا الاستغلال كان لغرض التناسب مع قاعدة تهذيبية أو ما أسماه **طه عبد الرحمان** "بمبدأ التصديق" والذي يقضي بأن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب منفعة أو دفع مضرة.

- **قال موسى عليه السلام:** ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾(طه: ٢٥ – ٣٢)

جاء هذا القول ردّا على أمره تعالى " ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾(طه: ٢٤) فبعد أن أظهر الله تعالى له المعجزتين صرّح له بالذهاب إلى فرعون، وكان رد موسى عليه السلام الامتثال للأمر ولكن على نحو غير مباشر مستغلا قاعدة المناسبة حيث لم يجب "بنعم" أو "حاضر" أو نحوهما ولكنه قابل الأمر بالأمر، غير أنّ صيغة الأمر هنا في قول موسى عليه السلام استُعملت لغرض الدعاء مستغلا بذلك قاعدة الكيفية، إضافة إلى ذلك فإن الدعاء جاء في صورة استعارة وحسب **غرايس** فإن الاستعارة هي طريقة من طرق استغلال قاعدة النوعية فالشرح مثلا في قوله: ﴿ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ ، إنما يكون

[15]– Perelman et Tyteca, Traité de l’argumentation, Bruxelles, P 358 نقلا عن:.قدور عمران، سابق، ص 93.

لشيء مادي لأن حقيقة الشرح[16] تقطيع لظاهر شيء ليّن، واستعير اللفظ هنا لإزالة ما في نفس الإنسان من خواطر تكدّره أو توجب تردّده في الإقدام على ما أمر به.

كما استعمل موسى عليه السلام الاستعارة في قوله: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ معللا ﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ والعقدة هي الحبسة وشبهت بالعقدة في الحبل أو الخيط لأنها تعرقل سرعة استعماله والعقدة في قول موسى استعملت على وجه الاستعارة التصريحية واستعار فعل الحل الذي يناسب العقدة على طريقة الاستعارة المكنية، أما قوله :﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ فهي حجة سببية؛ جعل إزالة الحبسة من لسانه سببا في أن يفقهوا ما سيقوله لهم. وكذلك احتج لطلبه ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴾ ، بـ ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ ﴾ (طه: ٣٢ – ٣٤) وهما حجتان تبيّنان سبب طلبه لعون أخيه.

إضافة إلى الحجج التي قدمها موسى عليه السلام لطلب عون أخيه نجد في سورة القصص حجة قوية تتمثل في قتله قبطيا وتوعُّد أهل القتيل بقتله، قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ ﴾ القصص: ٣٣ – ٣٤).

والخبر هنا لا للتبليغ لأنه تعالى أعلم بما حصل مع موسى عليه السلام، وإنما هو للتعبير عن خوفه من فرعون والأقباط، وتعليل مسبق لطلبه إرسال هارون عليه السلام معه وطلبا للأمن، وفي القول استغلال لقاعدة المناسبة لأن الامتثال لأمر الله تعالى مفروغ منه، وإنما ما يشغل موسى عليه السلام هاجس الخوف من فرعون وملئه، وقد استجاب تعالى لطلبه ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥ ﴾ (القصص: ٣٥ )

[16] الطاهر بن عاشور، سابق، ص 210.

وفي حين نجد الإيجاز في قوله في سورة طه ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ (طه: ٣٦)، فإننا نجد الإطناب في سورة القصص والمتمثل في قبول الله تعالى إرسال هارون مع موسى عليهما السلام، والحماية من قوم فرعون، وتفضل عليهما بالثالثة أن جعل لهما سلطانا وهو المقدرة على إقامة الحجة. وفي حين نجد رده سبحانه وتعالى في سورة طه مباشرا وصريحا أو جاء على أصله **ومطابقا للمقام** حسب تعبير **السكاكي ومطابقا لقواعد غرايس**، نجده في سورة القصص تغلب عليه الكناية عن طريق استغلال قاعدة النوعية، ففي قوله تعالى: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ كناية عن تأييده بفصاحة أخيه، وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ ، كناية عن عدم الإصابة بالأذى، أما قوله: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ فهي كناية عن التمكن من القلوب بفضل ما أوتي موسى وأخوه من الفصاحة والقدرة على الإقناع.

وفي الاثنين، الصريح والمستلزم، إراحة لموسى عليه السلام وذهاب لخوفه وقلقه وبعث للثقة في نفسه لتأدية الرسالة.

- **الله تعالى:** ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه: ٤٢ -٤٤ )
- **موسى وهارون عليهم السلام:** ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ (طه: ٤٥)
- **الله تعالى:** ﴿ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ (طه: ٤٥ - ٤٨ )

بعد أن استجاب الله تعالى لدعاء سيدنا موسى عليه السلام وشد أزره بأخيه هارون، تحول خطابه تعالى ليصبح الأمر بصيغة المثنى فقال: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾ و﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ و﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾، وأصبح الاثنان مكلفين بالرسالة.

**أمّا القول الأول:**﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾ فيجمع بين الأمر والنهي، حيث اشتمل الأمر عـلى الاقتضاء حسب أهل أصول الفقه وتـقدير المحذوف: "اذهب أنت و أخوك **إلى فرعون** بآياتي و لا تنيا في ذكري"، إضافة إلى ذلك فإن في هذا القول إشارة لأمره تعالى هارون بمرافقة موسى عليه السلام. وأمّا النهي فهو مستعمل هنا في حقيقته أي **مطابق للمقام**.

﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾، يأمر تعالى هنا موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون، وأمره بأن يأمر أخاه بالذهاب معه، لكون هارون عليه السلام كان غائبا، وإنّما كلّم الله تعالى موسى فقط[17]، وعلّل قوله تعالى بأن فرعون طغى أي تجاوز الحد في الظلم.

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾

يأمر تعالى موسى وهارون عليهما السلام عند الذهاب إلى فرعون بأن يخاطباه بقول ليّن، واللين من شعار الدعوة إلى الحق، قال تعالى:﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل: ١٢٥)وقوله ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ، والقول اللين لا يثير العزة بالإثم والكبرياء الزائف والمكابرة، وفي هذا أمر بالأخذ بالأسباب[18]، غير أنه سبحانه لم يقل ذلك مباشرة وإنّما ضمنه قوله، لينتج **استلزام حواري** عن طريق استغلال قاعدة الطريقة التي أخرجت القول من الأمر إلى الإرشاد والتعليم، فإذا استعملا اللين في دعوة فرعون فعليهما أن يرجوا هدايته غير يائسين من ذلك ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ وبالرغم من أنه تعالى يعلم بأن فرعون لن يؤمن، إلا أنه يعلّمهما الأخذ بالأسباب مع رجاء نجاح الدعوة.

[17] الطاهر بن عاشور، سابق، ص 224.

[18] سيد قطب، في ظلال القرآن، منبر التوحيد و الجهاد، ص 18.

- **قال موسى وهارون عليهما السلام ردًا لأمره تعالى:** ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ (طه: ٤٥)

يتضح من خلال هذا القول امتثال موسى وهارون إلى أمر ربهما سبحانه وتعالى بالذهاب إلى فرعون وإن كان ذلك بنحو غير مباشر، غير أنهما يخافان أن يعجّل فرعون بعقابهما قبل محاججته، فمع **احترام مبدأ التعاون دائما وقواعد التهذيب** مع الله جل جلاله، وما ينبغي لهما إلا ذلك، ففي قولهما استغلال لقاعدة المناسبة، ذلك أن الامتثال والطاعة لربهما أمر مفروغ منه، والغرض من استغلالهما لقاعدة المناسبة هو طرح انشغالهما والتعبير عن خوفهما من أن يكفر فرعون بدعوتهما ويتجرأ على الله تعالى كما قال: ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ ، وقوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ (القصص: ٣٨)

وفي قولهما: ﴿ يَطۡغَىٰ ﴾ اقتضاء حيث حذف متعلق يطغى تأدبا مع الله، فلم يصرحا به وتقدير قولهما: أو أن يطغى عليك فيتصلب في كفره.

- **قال تعالى:** ﴿ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ (طه: ٤٦ )

ففي قوله تعالى نهي عن الخوف والغرض منه نفي وقوع ما يخافا منه، وهذا استغلال لقاعدة النوعية، كناية عن عدم تمكن فرعون منهما ومن الطغيان عموما، وكان من الكفاية أن يتوقف القول هنا، غير أنه في القول استغلال لقاعدة الكمية الثانية ليضاف ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ حجة سببية تمنع الخوف من قلوبهما مؤكدة بـ "إنّ" لطرد الشك من نفسيهما، ليزداد الاثنان طمأنينة ويتأكدا من حفظه تعالى لهما من كل ضرر.

أما باقي القول ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ (طه: ٤٧ - ٤٨ ) فقد أُمر موسى وهارون عليهما السلام بقوله لفرعون، و بهذا يبدأ الحوار مع فرعون.

### 3-1-2 حوار موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون:

**موسى وهارون:** ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ (طه: ٤٧ – ٤٨)

**فرعون:** ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ (طه: ٤٩)

**موسى عليه السلام:** ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (طه: ٥٠)

**فرعون:** ﴿ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ (طه: ٥١)

**موسى:** ﴿ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ (طه: ٥٢)

**فرعون:** ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ ﴾ (طه: ٥٧ – ٥٨)

**موسى:** ﴿ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَنۡ يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ ﴾ (طه: ٥٩)

تدخل هذه المحاورة في سياق الدعوة إلى الله، لكن الدعوة هنا مع فرعون الطاغية الظالم، الذي يدّعي الربوبية ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النازعات: ٢٤ ) ويرغم الناس على طاعته، ويرفض الرجوع إلى الله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ (طه: ٥٦) ، كما أن العلاقة بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون علاقة تنافر، فموسى عليه السلام قتل قبطيا لأجل إسرائيلي، الشيء الذي أثار غضب الأقباط المقربين من فرعون.

فبنو إسرائيل كانوا مستعبدين ويُرغَمون على القيام بالأعمال الشاقة ويُعذَّبون ويُقتلون، وفي قتل قبطي لأجل إسرائيلي إهانة للأقباط لم يقبل بها فرعون ووعدهم بالقصاص من موسى عليه السلام.

أما مكان المحاورة فهو مملكة فرعون أو مدينته وفي الآية ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾، والإتيان الوصول والحلول بالمكان الذي يتواجد فيه فرعون، ومن المتوقع جدّا أن يكابر فرعون ويرفض دعوة نبي الله موسى عليه السلام، فهو الحاكم، يتواجد وسط قومه، في مدينته، ولا يوجد ما يربطه بموسى عليه السلام إلا ما كان يمنّ به عليه ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الشعراء: ١٨)، وما كان له ذلك لو لم يستعبد بني إسرائيل ويقتل أبناءهم﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الشعراء: ٢٢) ، فلو لم يفعل ذلك لكفله أهله عليه السلام.

**قال موسى وهارون لفرعون:** ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ (طه: ٤٧ - ٤٨ )

بدأ موسى وهارون عليهما السلام حديثهما بـ " إنّ " ليكون الخبر مؤكدّا ولا يكون في نفس فرعون شك من كونهما رسولا ربّ العالمين مع أن المقام مقام إخبار وابتداء.
وفي هذا القول تضمين، فموسى وهارون عليهما السلام تقدّما هذه المرة إلى فرعون بصفة غير التي يعرفها ويستلزم قولهما: "نحن مبعوثان من عند الله عز وجل فخاطبنا كرسولين" مستغلين بذلك قاعدة الطريقة ليقولا إضافة إلى المعنى الظاهر شيئا آخرا، وعلى أساس أنهما رسولين يطلبان من فرعون أن يطلق سراح بني إسرائيل الذين كانوا مستغلين من قبل الأقباط في البناء وحمل الحجارة"[19].

[19] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تعليق خليل مأمون شيما، دار المعرفة ، بيروت، 2009،ج20،ص657.

وجاء الأمر هنا والنهي (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم) **مطابقين للمقام ولقواعد الحوار الأربعة**، وفي النهي إشارة إلى تعرض بني إسرائيل للتعذيب من قبل فرعون.

**أما قولهما:** "﴿ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ فهو دليل قولهما ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾، فلكل نبي معجزاته ومعجزة موسى عليه السلام في العصا.

فمن آمن فعليه سلام الله من العذاب وفي هذا (وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ) استغلال لقاعدة الطريقة ويستلزم هذا القول: "أسلم إن كنت تريد النجاة من العذاب" وهو مقدمة للإنذار الذي يلي هذا القول﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ ، وهو **استلزام حواري خاص** ناتج عن استغلال قاعدة النوعية وتقدير القول: "إن كذّبت وتوليت، فإنك ستلقى العذاب" وهو كناية عن التحذير من العذاب في حال التكذيب والإعراض.

**قال فرعون:** ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ (طه: ٤٩)

وجّه فرعون الخطاب إليها بالضمير المشترك، ثم خصّ موسى بالنداء، لعلمه أن موسى هو الأصل بالرسالة وهارون تابع له وكذلك لأن موسى معروف في بلاط فرعون فقد تربّى فيه، وفي سؤاله إنكار وإعراض ورفض للاعتراف بربوبية الخالق تعالى لذلك قال فرعون: " رَّبُّكُمَا "، ولم يقل "ربي" كما خوطب﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾.

ويظهر جليا رفض التعاون من قبل فرعون وعدم احترامه لقواعد التهذيب فهو يعارض و يتكلم بسخرية، فأولا يخرق قاعدة النوعية ليخفي وراء سؤاله غير البريء كفرَه، ثم إنه يخرق متعمدا قاعدة المناسبة، فقد كان موسى عليه السلام وأخوه قد طلبا

منه إطلاق سراح بني إسرائيل، غير أنه لم يعر لطلبهما اهتماما ويسأل عن الشيء الذي يهدد كيانه وربوبيته التي فرضها ظلما على الناس.

ولعلنا نجد ما يؤكد قول فرعون في سورة الشعراء أكثر بيانا وإفصاحا ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾(الشعراء: ٢٥ - ٢٧ )، ردّ فيه تكذيب وإعراض وسخرية وخرق لقاعدة النوعية الذي مكنه من قول شيء ويقصد ضدّه﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، ويريد نفيه، لتكون تلك حجة مغالطة يستعملها فرعون ليقنع الحاضرين ببطلان دعوة موسى عليه السلام، ذلك أن الناس في ذلك الزمان كانوا يتمسكون بما عند آبائهم ويسيرون على خطاهم ويرفضون بقوة الخروج عن عادات آبائهم، فلما فعل ذلك موسى عليه السلام اتُّهم بالجنون، وفي هذا مواساة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي اتهم بالجنون والسحر والشعر من قبل قريش، فما حدث له، سبق مع الأنبياء والمرسلين قبله فصبروا حتى نصرهم الله تعالى.

وتجيء إجابة موسى عليه السلام عن سؤال فرعون مطابقة لقاعدة المناسبة فيستعمل لفظ " ربّنا " قاصدا إثبات الربوبية لله تعالى لجميع الموجودات، ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ مستعملا قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية حسب علم الأصول، ففرعون من جملة الأشياء، وجيء بفعل الإعطاء للتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة، فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معا[20]، وفي هذا القول استغلال لقاعدة الكيفية فموسى عليه السلام ذكر حجة تثبت ربوبية الله والقصد منها دفع التساؤل في نفس فرعون: تأمل هل أنت أعطيت الخلق؟، تأمل فإن الرب هو الذي أفاض الوجود والنعم على المخلوقات كلها، وهذه الصفة هي الموصلة إلى الاعتقاد الحق.

[20] الطاهر بن عاشور، سابق، ص 232.

إضافة إلى ذلك فإن في كلامه ترتيب زمني ورتبي، أي أنه تعالى خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله، وفي القول كلّه إيجاز، فعلى اختصاره يجمع بين نعم الله تعالى على خلقه ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ (البلد: ٨ - ٩ ) ، وهديه إياهم للطريق الموصلة إلى النجاة، وفرّق بين طريق الحق وطريق الضلال لمن يرغب في الهداية والفلاح ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (البلد: ١٠ )، وهو قوام الحياة كلّها.

**قال فرعون:** ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ (طه: ٥١)

يبين فرعون بسؤاله هذا عدم تعاونه مع مخاطَبه حيث يسأل عن الأقوام السابقين، وعن أحوالهم بعد الموت[21] محاولا تعجيز موسى عليه السلام، وهذا **استلزام حواري معمّم**، جار في الاستعمال، ففرعون لا ينتظر جوابا من موسى عليه السلام، ويعلم موسى عليه السلام أن خصمه يرغب في تعجيزه ليسقِط مصداقيته أمام الحاضرين، كأن يسأل أحد مثلا شخصا آخر مطرود من عمله، ويعلم الطرف الثاني ذلك، ليحرجه: كيف حال عملك؟

**قال موسى عليه السلام:** ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ (طه: ٥٢ )

أما سيدنا موسى عليه السلام، فقد علِم قصد فرعون المخادع لإبطال دعوته، فأجاب إجابة يصرف بها فرعون عن الخوض فيما لا يجدي في مقامه ذلك من أحوال الأموات والاشتغال بالأحرى بالغرض الذي جاء من أجله.

ففي قوله﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ ﴾ **استلزام حواري خاص**، يستغل من خلاله قاعدة المناسبة، فهو لم يقل صراحة "لا أدري" أو "لا علم لي بهم" وإنّما نسب علم حالهم لله تعالى عالم الغيب.

[21] الطاهر بن عاشور، سابق، ص234.

أما استعماله للفظ " كتاب " فيحتمل أن يكون الكتاب هنا مجازا في تفصيل العلم شبيها له بالأمور المكتوبة[22]، لذلك قال: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ ليستغل موسى عليه السلام بهذا القول قاعدة الكمية الثانية لصالح قاعدة النوعية، فهو يقصد بإضافة ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ إثبات بعض من صفات الربوبية وهو مالا يملكه فرعون مدّعي الربوبية وكان يكفي أن يقول: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾.

**قال فرعون:** ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ (طه: ٥٧ ـ ٥٨ )

إن من يقرأ هذا القول ويتدبر فيه، يدرك بأن بينه وبين ما سبقه ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴾ فاصل هو ما أشار إليه نص القول ﴿ بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ ليكون موسى عليه السلام قد أرى فرعون ومن معه آية انقلاب العصا حية وخروج يده بيضاء من غير سوء.

وهذا السؤال الإنكاري لا يقصد به الاستفسار، إنّما هو **استلزام حواري معمّم** حيث يستعمل المتكلم صيغة الاستفهام من أجل الإتهام بل وتأكيد شيء ما ويقصد فرعون هنا: تريد إخراجنا من أرضنا بسحرك يا موسى، أي تريد اقتلاعي من ملكي بسحرك، وفي نفس الوقت فيه اتهام بأن ما جاء به موسى من آيات إنما هي من السحر وليست بمعجزات، والغرض من ذلك التحقير.

أما قوله: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ﴾ ، فهو إخبار مع القسم من ورائه تهديد ووعيد لذلك قال: ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ ، وفي هذا

[22] الطاهر بن عاشور، سابق ، ص 235.

القول خرق متعمد لقاعدة الطريقة حيث استعمل فرعون صيغة الأمر "افعل" غير أن الغرض منه التحدي والتحذير من إخلاف الموعد.

أما رد موسى عليه السلام فكان ما يلي:﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ ،و هو جواب مباشر يشير إلى زمان و مكان المحاورة ليكون بذلك **مطابقا لجميع القواعد** الحوارية: مناسبا وكافيا وواضحا لا لبس فيه وصادقا.

واختار يوم الزينة وهو يوم عيدٍ عند الأقباط يجتمعون فيه للاحتفال، و في هذا تعيين لليوم الموعود، أمّا الوقت بالضبط فهو الضحى، وهو الوقت الذي يكثر فيه خروج الناس، و أمّا المكان﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ﴾ فهو ساحة القصر حيث يتجمع الأقباط لغرض الاحتفال.

### 3-1-3 محادثة بين موسى عليه السلام والسحرة وفرعون يوم المباراة:

يحضر موسى عليه السلام إلى ساحة القصر ومعه آيتا تحول العصا ثعبان عظيم وخروج يده سليمة من تحت جناحه، ويَلقى السحرة المدعَّمين من قبل فرعون: ﴿ قَالُوٓاْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الشعراء: ٤١ – ٤٢) ، فالعلاقة بين موسى عليه السلام والطرفين الآخرين علاقة عداء، كالعلاقة بين الحق والباطل، بل هي كذلك، فموسى يقوم بالدعوة إلى الله في حين يحاول فرعون التحقير من شأن موسى أمام الحاضرين ويَظهر هذا من خلال أقواله و أقوال السحرة في هذه المحاورة:

**قال لهم موسى:**﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ (طه: ٦١)

**السحرة:** ﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ (طه: ٦٣ – ٦٤)

**قالوا لموسى:** ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾ (طه: ٦٥)

**موسى:** ﴿ بَلۡ أَلۡقُواْۖ ﴿٦٦﴾ ﴾ (طه: ٦٦)

**السحرة:** ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ (طه: ٧٠)

**فرعون:** ﴿ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ (طه: ٧١ )

**السحرة:** ﴿ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ (طه: ٧٢ - ٧٣ )

عند وصول موعد التباري بدأ موسى عليه السلام حواره معهم بتحذيرهم من عذاب الله لعلمه بأن السحرة يخدعون الناس بسحرهم مدعما كلامه بحجة سببية ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾ فالكذب على الله سيكون سببا في الخيبة ونزول العقاب بهم.

غير أن في القول أيضا **استلزام حواري خاص**، فموسى عليه السلام يضمّن قوله عدم قدومه على ما لم يأمره به الله تعالى لعلمه بعقاب الله، ومن كان يؤمن بذلك لا يقدِم عليه ليكون بذلك مستغلا لقاعدة النوعية و يبلّغ قصده كناية لا تصريحا.

فماذا كان ردّ السحرة: ﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾

في هذا الرّد رفض واضح للتعاون مع موسى عليه السلام، فهم لا يولون تحذيره اهتماما خارقين بذلك قاعدة المناسبة، بل ويخرقون قاعدة الكيف فيخبرون الحاضرين

معلومة كاذبة، فهم يعلَمون بأن موسى وأخاه ليسا بساحرين ولا ينويان إخراج الأقباط من أرضهم ولا تغيير عاداتهم الحسنة (طريقتكم المثلى) وإنّما طالبا بتحرير بني إسرائيل.

واستعملوا الكذب هنا ليحرضوا الأقباط ضدهم ثم قالوا: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾، لأن في جمع الجهود قوة أكبر وضمان للغلبة، وجاء القول في صيغة الأمر لغرض التناصح والاتفاق من أجل الفوز على موسى عليه السلام لأن هذا القول هو النتيجة التي خرجوا بها باجتماعهم.

**قالوا (السحرة):** ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴾

**موسى:** ﴿ بَلۡ أَلۡقُواْۖ ﴾

في هذا القول يظهر السحرة جد متعاونين مع موسى عليه السلام محترمين كل القواعد التبليغية وكذا التهذيبية أهمها – حسب جورج ليتش – قاعدة اللباقة والسخاء اللتان تحثان على ربح الغير وتجنب خسارته، وكذا قاعدة الاتفاق التي تقضي بالإكثار من الاتفاق مع الغير والتقليل من الاختلاف مع الغير، وهذا يظهر في تخييرهم موسى عليه السلام بين أن يبدأ أولا بالمباراة أو أن يكونوا هم أول من يبدأ، ولعلّ أدبهم هذا معه وخفض جناحهم له إلهام من عند الله[23] الذي علّم موسى عليه السلام اختيار إلقائهم أولا وفي ذلك مقابلة الأدب بالأدب، فإذا استنفذوا طاقاتهم أظهر الله سلطانه.

**قال السحرة:** ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾

لمّا ألقى السحرة حبالهم وسحروا أعين الناس ليخيّل إليهم أنها ثعابين تتحرك ألقى سيدنا موسى عصاه فانقلبت حية عظيمة التهمت ما صنعوا، علِم السحرة أن ذلك ليس بسحر إنّما هي آية من عند الله وأعلنوا إيمانهم به وبدعوة موسى عليه السلام مستغلين قاعدة النوعية ليحمل قولهم هذا كناية عن اعترافهم بفوز موسى عليهم وعلى فرعون.

[23] الزمخشري، سابق، ص 660.

وهذا طبعا أثار غضب فرعون وكبرياءه فقال مستغربا ومهدّدًا: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ وهو سؤال ليس لغرض الاستفهام، كما أنه لا ينتظر جوابا "بنعم" أو "لا"، وهو **استلزام حواري معمم**، ففي القول لوم وتهديد، وفيه إشارة قويَّة أن ما أغضب فرعون هو إيمانهم بموسى وليس عدم استئذانه ذلك أنه حتى لو طلبوا إذنه ما كان ليأذن لهم. وفي القول أيضا خرق لقاعدة النوعية لأنه يحمل كناية عن اعتبار فرعون نفسه الآمر الناهي فكأنه يقول: كيف تتجرؤون على ربكم وتتصرفون دون الرجوع إلي؟.

وليُثبت خطأهم أمام الحاضرين استعمل حجة مغالطة فجعله كبيرهم الذي علّمهم السحر، وليكون له الحق في معاقبتهم، فتوعدهم بالعذاب ليبيّن قدرته فقال: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ خارقا قاعدة الطريقة ليقول شيئا ويقصد إلى جانب ذلك شيئا آخر، فهو يستعرض قدرته ليكذِّب دعوة موسى وآياته وليهدد في الآن نفسه من تسوّل له نفسه إتباع موسى عليه السلام.

**قال السحرة:** ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾

بعد أن حاول فرعون تهديد من آمن بموسى بأبشع أنواع العذاب وأعنفها كان في جوابهم له عزم لتفضيل دين موسى على اتباع فرعون، وفي القول اقتضاء حسب علم الأصول وتقدير المحذوف "لن نؤثر طاعتك على طاعة ربنا" لأن فرعون هدَّدهم من منطلق أنه ربهم، فاختاروا موسى وإله موسى، وفي قولهم أيضا عدم اكتراث لعقاب فرعون وتعذيبه لدخول الإيمان في قلوبهم، ليكون هذا القول ردًا على قوله: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾.

أما قولـهم: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ ، فهو رد لقول فرعون ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ ، فهو أمر بتنفيذ وعيده

وتهديده والغرض منه التسليم لأمر الله تعالى وليس لعذاب فرعون. وتحقق هذا المعنى عن طريق استغلال قاعدة الكيفية، حيث استعملوا صيغة الأمر لغرض آخر غير الطلب، وهذا القول هو حجة قاطعة لدخولهم في دين موسى وإيمانهم بالله، وأن قدرة فرعون مقتصرة في الحياة الدنيا وهم يبحثون عن الجزاء الخالد. وقد علّلوا إيمانهم بالله برغبتهم في مغفرته تعالى لهم على ما أكرهوا عليه من السحر من قبَل فرعون. ويقابل المؤمنون ما قاله فرعون: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ بقولهم: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ ﴾ ، ففي حين يتوعدهم فرعون بالعذاب والصلب، يجدون الله غفورا لما صدر منهم من خطايا.

وفي حين يقول فرعون: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾، يجدون الله ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾، ويستلزم كلامهم أن عند الله الخير والجزاء الكريم في الآخرة وعند فرعون العذاب الدنيوي الزائل، وهي كناية عن اختيار الحق والفوز الدائم، ناتجةٌ عن استغلال قاعدة النوعية؛ واستعملوا كلامهم هذا كحجة يناقضون بها كلام فرعون ويدعمون بها اختيارهم.

وبذلك يكون لأتباع موسى عليه السلام **لكل قول يقوله فرعون ما يناقضه ويدحضه** وقد نجاهم الله من فرعون لمَّا آمنوا به وأغرق فرعون وجنوده.

### 3-1-4 حوار **موسى عليه السلام مع ربه عز وجل بجانب الطور**:

وصل بنوا إسرائيل أرض سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من أرض مصر، وهنالك سبقهم موسى عليه السلام ليصعد الجبل لمناجاة الله تعالى وأخذ الألواح فيها التوراة، وكان ربه تعالى قد واعده أربعين يوما لكنه استعجل الموعد بعشرة أيام واستغل السامري غياب موسى عليه السلام وأضل قومه.

أما السّامري ففيه روايات متعددة فإما أن يكون قبطي اندسَّ في صفوف بني إسرائيل، و إمّا أنه من قرية سامرة اليهودية ولكن بمذهب مخالف[24].

[24] الطاهر بن عاشور، سابق ، ص250.

ليكون عدوا آخر لبني إسرائيل ويظهر ذلك من خلال الحوار.

- **قال الله تعالى:** ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾(طه: ٨٣)
- **موسى عليه السلام:** ﴿ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾(طه: ٨٤ )
- **الله تعالى:** ﴿ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾(طه: ٨٥)

عند حلول موسى عليه السلام جبل الطور فرحا متشوقا للقاء ربه تعالى فوجئ بسؤاله: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾

يظهر من صيغته أنه استفسار عن سبب تقدم موسى عن قومه، غير أنه مستعمَل كما جرت العادة للّوم وأن وراءه أمرا خطيرا حدث وراءه، فهو **استلزام حواري معمم** مستعمل في اللغة العادية بين المتحاورين، فموسى عليه السلام تعجل للحضور إلى مناجاة ربه "اجتهادا منه ورغبة في تلقي الشريعة حسبما وعده الله تعالى"[25]، ولامه تعالى أن غفل عن مراعاة ماقد يحدث بين قومه من فتن.

وكان رد موسى عليه السلام: ﴿ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾، وكونهم على أثره يدلّ على أنهم كانوا خلفه مباشرة وأن تقدمه يسير لا يُعتد به"، والمسافة بينه وبين قومه مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمتهم"[26].

وهذه إجابة غير مباشرة فقد استغل موسى عليه السلام قاعدة النوعية، فلم يعتذر مباشرة وإنما برّر خطأه بأنهم على أثره قادمون وهي كناية عن قصر المسافة التي كانت بينهم.

[25] الطاهر بن عاشور،سابق، ص 276.

[26] الزمخشري، سابق، ص 663.

والحقيقة أن في جوابـه حيرة لما ورد عليـه من التهيب لعتـاب الله له فأذهـله ذلـك و صرفه عن الجواب المباشر المرتب، وأكمل معللا أنه اجتهد من عنده وتعجل إليه تعالى رغبة في تلقي الشريعة كما وعده ربه.وهي حجة سببية يبرر بها عدم بقائه مع قومه.

ونجد في جوابه عليه السلام التعليل ثم الجواب الذي كان على ظاهر السؤال لا عن المقصود منه (استغلال قاعدة المناسبة) لأجل الاحتفاظ بقاعدة التهذيب تأدبا وحياءً من الله تعالى.

- **قال تعالى:** ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ (طه: ٨٥ )

في قوله السابق يلوم تعالى رسوله موسى على تعجله وترْكِه قومه خلفه، أما في هذا القول، فيتبين سبب لومه له فقد أضل السامري قومه وأصابهم في عقيدتهم ولا شك أن الغرض الأول من قوله هذا هو الإخبار، أما الغرض الثاني فهو تنبيه موسى بنتيجة تعجله، ولكي يعلِّمه عدم الاجتهاد مع أوامر الله تعالى. وقد جاء القول مستغلا لقاعدة الكيفية فبعد قول موسى عليه السلام:﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾، كان ممكنا أن يكون الرد (لو كان من عند غير الله ): ما كان عليك أن تتعجل. ولكنه تعالى ذكر مباشرة السبب ليُري موسى نتائج تصرفه ذاك. لأن اللوم لا ينفع الآن والأنسب النظر في النتائج ومحاولة استدراك الخطأ.

### 3-1-5 حوار موسى عليه السلام مع قومه ثم مع هارون عليه السلام ثم مع السامري:

حين علم موسى عليه السلام بما حدث مع قومه في غيابه، عاد إليهم غضبان، آسفا على ما صدر منهم، يلومهم ويوجه اللوم أيضا إلى أخيه الذي خلَفه في قومه.

### 3-1-5-1 حوار موسى عليه السلام مع قومه:

وهذا نص الحوار:

**موسى عليه السلام:** ﴿ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦ ﴾ (طه: ٨٦ )

**القوم:** ﴿ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧ ﴾ (طه: ٨٧)

يستعمل موسى عليه السلام هنا صيغة السؤال ولكن الغرض منها النفي والإنكار فهو إذن **استلزام حواري معمم** والقصد منه: وعدكم ربكم وعدا حسنا وهو المحكي في: ﴿ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ ٨٠ ﴾ (طه: ٨٠)، وهو **استلزام حواري معمم** أيضا في ﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ ﴾ والغرض منه إنكار ذلك لأن العهد ليس بعيدا فلم يبعد زمن وعده تعالى حتى يكون منهم يأس وخروج عن طاعته و عبادته.

أما قوله: ﴿ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ كونكم أخلفتم موعدي، والغرض من الاستفهام هنا التأكيد ويعني بقوله: بل أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم كونكم أخلفتم موعده.وهو **استلزام حواري معمم** يفهم دون اللجوء إلى السياق.

فماذا كان جوابهم: ﴿ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ ،إن ردّهم هذا دليل على تأثرهم بسنوات القهر والرضوخ لسلطة فرعون وعدم قدرتهم التخلص من ذلك حتى بعد تحررهم منه وهلاكه[27].

قالوا: ﴿ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا ﴾، وهي إجابة توحي بتملصهم من المسؤولية كونهم لم يُرغَموا على فعل ذلك أو عُذِّبوا لأجله، وهو رد غير مباشر لقول موسى عليه السلام، يَظهرون من خلاله غير متعاونين ذلك أنهم نسبوا خطأهم لغيرهم وكأنه لا قدرة

[27] البقاعي، سابق ، ص 39.

لهم، مع أن هارون عليه السلام نصحهم ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ (طه: ٩٠) وهي حجة تداولية تؤكد خطأهم.

ويخرق قولهم هذا قاعدة الطريقة، فلم يقولوا صراحة، نعم أخلفنا موعدك دون رغبة منا، ولكن قالوها بنوع من الاعتذار، وكان عذرهم أنهم حُمِّلوا أوزارا وهي أثقال من الذهب والفضة وألقوها تخلصا منها كونها حراما، وقد ألقوها في النار التى هيأها السامري ليذيب الحلي ويصنع منها العجل الذي "اعتبروه إله موسى الذي ذهب ليُلاَقِيه في الجبل وهو حاضر هنا معهم".[28]

وليتأكد لنا بأن حججهم واهية وعذرهم باطل نأتي إلى سورة الأعراف حيث نجد تفاصيل أكثر عن القصة. لما نجّا الله تعالى قوم موسى من فرعون وأغرقه الله وجنوده، مروا على قوم يعبدون أصناما على شكل بقر وذلك أول شأن العجل[29]، وطلبوا من موسى عليه السلام –جهلا– أن يجعل لهم صنما مثله ليعبدوه ﴿ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) و السياق يوحي بأنهم انسلخوا عن عقيدة التوحيد و نسوا تخليصهم من فرعون، و غاب عنهم ما تعلّموه من نبيهم و سرعان ما طلبوا آلهة مثل هؤلاء القوم. أمّا نداؤهم موسى وهو معهم،فهو مستعمل في طلب الإصغاء و الغرض منه التأثير فيه، و هنا يتوسلون من نبيهم، و هذا غريب فهم لم يتخذوا إلها لوحدهم و لكنهم طلبوا من نبيهم أن يحقق لهم ذلك، فوصفهم موسى عليه السلام بالجهل وأنكر عليهم ذلك وقال: ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٠) وهو استفهام لأجل الإنكار و التعجب، **(استلزام حواري معمم)**. غير أن قوم موسى سرعان ما وجدوا ضالتهم مع السامري واتبعوه في

[28] سيد قطب، سابق، ص34.

[29] الزمخشري، سابق، ص 383.

عبادة العجل، وقد قال لهم نبيُّهم: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ ﴾ (الأعراف: ١٣٩) فلم ينصتوا له.

إضافة إلى هذه الحجة، هناك حجة أخرى هي قول هارون لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾ ، فقد حذّرهم هارون من فتنة العجل، وفي قوله تذكير بالله تعالى لذلك جاء كلامه مباشرا **مطابقا** لقواعد الحوار.

وجاء ردهم بالرفض للانصياع لأمره، ولكن لم يقولوا لن نطيع أمرك، مستغلين بذلك قاعدة المناسبة، بل أظهروا عزمهم على تمسكهم بعبادة العجل إلى حين عودة موسى فيؤكد لهم صحة ما يقومون به.

### 3-1-5-2 حوار موسى عليه السلام مع أخيه هارون:

- **موسى عليه السلام:** ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ ﴾ (طه: ٩٢ - ٩٣ )
- **هارون عليه السلام:** ﴿ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤ ﴾ (طه: ٩٤)

بعد أن تقدم موسى عليه السلام باللوم لكل القوم، خصّ هارونَ أخاه باللوم والتوبيخ، فسأله عن سبب مكوثه مع قومه بعد أن خالفوا أمر الله، واستفهامه هذا إنكاري ويريد القول: لم يكن لديك مانع من اللحاق بي بعد أن ضلوا إلا أن تكون قد عصيت أمري، وهو **استلزام حواري معمم** و كثيرا ما تستعمل صيغة السؤال لغير الاستفهام كما سبق وأن أشرنا.

- **قال هارون:** يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

ينادي هارون أخاه في هذا القول بـ "يا ابن أمّ" متوسلا، مستشفعا باسم صلة الرحم حتى لا يعاقَب، وقد استغل قاعدة العلاقة في إجابته التي لم تكن مباشرة، فقد اعترف ضمنيا بأنه خالف وصية أخيه ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٢) غير أنه لم يتجرأ على تأكيدها. وفي قوله أمر (لَا تَأْخُذْ) لغرض الالتماس كونهما في مرتبة متساوية وفي هذا استغلال لقاعدة الكيفية، وقد علل خطأه بأنه خشي إن أظهر غضبه على قومه تبعته طائفة وخالفته طائفة أخرى ويقع الخلاف وربما اقتتلتا وهي حجة سببية.

كما احتج هارون بحجج أخرى في سورة الأعراف: ﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٠ ) ومحاولة قتل هارون من قبل قومه هي حجة تداولية قوية تثبت براءة هارون عليه السلام مما فعل قومُه، و قد غفر له موسى ذلك بقوله: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥١ )

### 3-1-5-3 حوار موسى عليه السلام مع السامري:

- **موسى عليه السلام:** ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ ﴾ (طه: ٩٥ )
- **السامري:** ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ (طه: ٩٦ )

- **موسى عليه السلام:** ﴿ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (طه: ٩٧ - ٩٨ )

بعد أن خاطب موسى عليه السلام قومه وأخاه هارون لائما ومعاتبا، وجه خطابه للسامري الذي كان سببا في إضلال القوم، غير أنه لم يغلظ له القول كونه لم يكن من الجماعة المسلمة، فلم يكن في ضلاله عجب، فقد كان قبطيا، و موسى عليه السلام كان مبعوثا إلى بني إسرائيل خاصة[30]، كما أن السامري لم يضل القوم بالقوة وإنما أغواهم فغووا.

فكان سؤال موسى عليه السلام واضحا، منظما، مختصرا، مباشرا و مناسبا لمقام المحاورة، فهو يكلم كافرا أضل قوما كانوا قد آمنوا ولا يريد الإطالة معه، والخَطبُ هو الطَّلب وهو الشأن المكروه، فكان سؤال موسى استفهاما عمّا يريد السامري، لكن إجابة السامري لم تكن مباشرة وهذا المناسب لشخصه اللئيم، فلم يخبر عن طلبه أي الأمر المكروه الذي يرمي إليه، ولكن حكى عما قام به خارقا مبدأ التعاون لأن إجابته كانت عذرا وتملصا من تبعة ما حدث، وبذلك يكون قد خرق قاعدة النوعية لأن إجابته تحتاج إلى برهان إضافة إلى أنها لا تناسب السؤال ، أمّا فيما يتعلق بـ "الأثر" فيقال أنه رأى جبريل عليه السلام في هيئته التي أتى بها موسى عليه السلام وأخذ من أثر فرسه على التراب وألقاها في النار، ليلقي اللوم بذلك على القوم الذين اتبعوه وفي هذا تقزيم لفعلته (litote)( التقزيم خرق لقاعدة النوعية ) حتى لا يلام عليها.

- **قال موسى:** ﴿ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾

[30] الطاهر بن عاشور، سابق، ص294.

و قدم السامري عذرا واهيا، وإن كان لا يقصد فعلا الاعتذار، وأدرك موسى عليه السلام أنه كاذب مراوغ ويستحق العقاب، فقال: ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾، صيغة أمر (افعل) ظاهرها أمر بالانصراف والخروج من وسط الأمة مستغلا بذلك قاعدة الكيفية والقصد منها الزّجر، ليخبره بعدها بعقوبته في الدنيا والآخرة، أما عقوبة الدنيا فيعزل عن جميع البشر، وأما عن عقاب الآخرة فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥ﴾ و هو كناية عن يوم القيامة، فهو الوعد الذي لا يخلفه الله تعالى، والكناية طريقة من طرق استغلال قاعدة النوعية.

وأمّا إلهك الذي ادّعيت وأضللت به القوم فسوف نحرقه ونرميه في الماء، وهو **استلزام حواري خاص** ناتج عن استغلال قاعدة الكيفية يقول–على نحو غير مباشر لكن بحجة قوية–هذا دليل حسي (أنظر) على بطلان ما زعمت، وهي العقوبة الثالثة[31].

وبعد أن تحدث عن عقوبة السامري، توجه موسى عليه السلام إلى الأمة بخطاب يُعرضُ به عن خطاب السامري تحقيرا له، مستعملا أسلوب الخبر **مطابقا** لجميع **القواعد**، لأن الحديث عن العقيدة الحقة يتطلب استعمال أسلوب واضح ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾، مقررا لصفة من صفاته تعالى وهو العلم التام والشامل لكل شيء ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾، وهي من صفات إثبات الألوهية.

### 3–2 حوارات عن أحوال يوم القيامة:

#### 3–2–1 حوار المجرمين بعضهم لبعض.

بين قصة سيدنا موسى عليه السلام وقصة سيدنا آدم عليه السلام، يسرد الشارع الحكيم أهوال يوم القيامة وأحوال المجرمين وما يدور بينهم من كلام. يوم ينفخ في الصور ويحشر المجرمين وهم يتخافتون فيما بينهم عن مدة مكوثهم في القبر، فلهول ذلك اليوم لا يتجرأ أحدهم بالحديث بصوت مرتفع.

[31] الطاهر بن عاشور، سابق، ص 297.

- **يقولون:** ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (طه: ١٠٣ )

**وتقدير السؤال:** كم لبثتم في قبركم؟ كقوله تعالى: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (المؤمنون: ١١٢ - ١١٣ )

- **يقول أمثلهم طريقة:** ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (طه: ١٠٤ )

و قولهم إن لبثتم إلا عشرا جواب عن استفسار عن مدة مكوثهم بين الموت والحشر وهو ما يسمى بالبرزخ، ليكون الجواب هنا مناسبا، كافيا، واضحاو مختصرا غير أنه يخرق قاعدة الكيف كونه مجرد تخمين ويحتاج إلى برهان.

أما أمثلهم طريقة (أفضلهم في التقدير) والمعنى هنا ليس حقيقيا وهو سخرية بالقائل لسوء تقديره لمدة مكوثهم في القبور والتي قدرها بيوم واحد، وفي قوله خرق لقاعدة النوعية لأن تقديره خاطئ وكاذب ينقصه البرهان، وفي القول أيضا كناية عن جهلهم بعظم قدرته تعالى الذي أماتهم لقرون لم يشعروا بمرورها ثم أحياهم بعدها.

### 3-2-2 حوار الكفار مع النبي صلى الله عليه سلم حول مصير الجبال يوم القيامة:

و هنا يتوجه تعالى لمخاطبة نبيه صلى الله عليه و سلم، حيث كان الكفار يتساءلون عن مصير الجبال يوم القيامة، فأنزل الله تعالى هذه الآيات تبيانا لذلك: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (طه: ١٠٥ ) **وتقدير السؤال** هنا: أين تكون هذه الجبال التي نراها؟[32]

- **النبي صلى الله عليه وسلم:** ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ (طه: ١٠٥ - ١٠٧ )

[32] الطاهر بن عاشور، سابق،ص306.

و كان كفار قريش يتوجهون إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأسئلة عن الجبال العظيمة تشكيكا بقدرة الله عز وجل وتعجيزا له صلى الله عليه وسلم، وحسب هذا السياق يكون السؤال هنا استهزاءً لا استهداء، ليكونوا بذلك رافضين للتعاون، خارقين قاعدة النوعية التي تبيّن عدم صدق نيّتهم في معرفة الإجابة الحقيقية، غير أننا نجد الجواب حقيقيا فالأمر يتعلق بيوم القيامة وإن كان الاستفسار عنه استهزاءً، فأجابهم كما أمر أن الله تعالى سيفتت الجبال ويفرقها بالرياح حتى لا يبقى لها أثر، إبطالا لشبهة الكافرين، وتعليما للمؤمنين، ويضيف تعالى: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ ، وفي إضافته هذه استغلال لقاعدة الكمية الثانية، إخبارا عن حالة الجبال الأخيرة وهي التسوية مع الأرض، وأضاف تعالى ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ ، أي لا انخفاضا ولا ارتفاعا والغرض من هذه الإضافة الزيادة في التأكيد وفي التصوير حتى لا يدع شكا في قلوبهم.

### 3-3 الحوار في قصة سيدنا آدم عليه السلام.

لما خلق الله تعالى سيدنا آدم عليه السلام ورزقه الجنة يأكل منها رغدا حيث يشاء مع زوجته، أمر الملائكة أن يسجدوا له إكراما له، فسجدوا إلا إبليس رفض لأنه رأى أنه أكرم منه وأفضل منه خلقا، فكان الحوار الآتي بين الله سبحانه وتعالى مع الملائكة أولا ثم مع آدم عليه السلام.

- **قال الله تعالى للملائكة:** ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (طه: ١١٦ ) و الجواب هنا لم يكن بـ "نعم أو حاضر" و لكن بالتنفيذ مباشرة، فهذا القول فعل لغوي مباشر يقتضي الامتثال للأمر والسجود لآدم، فسجد الملائكة وتكبر إبليس على فعل ذلك.

- **فقال تعالى:** ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ (طه: ١١٧ - ١١٩ )

ففي كلامه تعالى نداء لآدم عليه السلام والغرض منه التنبيه لينصت لما سيقوله له، فأخبره بعداوة إبليس له ولزوجه، وهو قول مباشر لم ينتج عنه استلزام حواري.

ثم ينهاهما من أن يتسبب إبليس في إخراجهما من الجنة وفي قوله تعالى هذا كناية عن أن إبليس لعنه الله يهدف إلى ذلك وهو استغلال لقاعدة النوعية ليحذر تعالى آدم من التأثر بإغراءات إبليس لعنه الله ، أما قوله فتشقى فهو تعليل للنهي والتحذير.

**أما قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ ، فهي حجج تبين سبب تحذيره تعالى لآدم عليه السلام حتى لا يفقد هذه النعم ويشقى بعدها، وفي قوله ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ إيجاز، يفصله في ذكره للجوع والعراء، والظمأ وحر شمس الضحى، وفي التفصيل استغلال لقاعدة الكم، حيث يحصي لآدم نعمه التي يتمتع بها والتي قد تضيع إن استجاب لإغواء الشيطان.

وفي القول كناية عن أسباب العيش الهنيء من مأكل ومشرب وملبس وراحة للجسم.

ويحصل ما حذر منه تعالى آدم عليه السلام فوسوس لهما الشيطان، والوسوسة حديث خفي.

- **قال:** ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (طه: ١٢٠ ) ففي سؤاله هذا **استلزام حواري معمم**، الغرض منه الإغواء وذلك عن طريق عرض للخدمة **(ظاهريا)** وقد جاء إبليس آدم من ناحية الحرص وطول الأمل، وفي قوله استعارة مكنية﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ فالبلى للثوب وهو خرق لقاعدة النوعية.

والحقيقة أن إبليس قد تمكن من آدم عليه السلام واستجاب له وكانت النتيجة في قوله تعالى:

﴿ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ (طه: ١٢٣ - ١٢٤ )

فاستعمل الله تعالى الأمر بالخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض والخطاب هنا للبشرية جمعاء. وفي قوله هذا استغلال لقاعدة الكيفية والمعنى: إنّ الله حكم عليكم بالخروج من الجنة، و هو أيضا فعل لغوي مباشر. وأما قوله تعالى:﴿ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ ﴾ ففيه كناية عن أحوال البشر وعلاقاتهم ببعضهم البعض على الأرض.

وفي قوله تعالى:﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ كناية عن وجود الهدى والضلالة، وتغيُّر لأحوال بني آدم على الأرض والخروج إلى عالم يتنافس فيه الخير والشر، وفي القول الأول ترغيب وفي الثاني ترهيب ووصية باتباع الرسل.

**قال من حشر أعمى:** ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ ﴾ (طه: ١٢٥)

فهذا قول من أعرض عن الهدى والرسل وعوقب بالعمى يوم الحشر مستفسرا عن سبب حشره أعمى البصر، وقد كان مبصرا في الدنيا، وفي قوله حيرة وتعجب وجاء صريحا ومباشرا.

**فقال تعالى:** ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾ (طه: ١٢٦ ) ويأتي كلامه تعالى أيضا مباشرا ، فالسبب في حشره أعمى هو نسيانه لآيات الله التي كان يُعرض عن النظر والتفكر فيها فكان عقابه المثل وهو ذهاب بصره الذي لم يُعمله في الدنيا.

وأمّا نسيانه فإنه مستعمل مجازا عن طريق استغلال قاعدة النوعية، فالله تعالى لا ينسى وإنما المراد قوله "نقصيك من رحمتنا"[33].

**خلاصة:**

حاولنا في هذا الفصل تحليل الحوار في الخطاب القرآني من خلال سورة "طه"، مطبقين بعض آليات المنهج التداولي خاصة ما تعلق منه بقواعد الحوار وما ينتج عن خرقها من استلزام حواري مركزين على مقام التلفظ بمختلف عناصره من باثّ و متلق، و مكان و زمان المحاورة، و ظروف إنتاج المعنى ككل، و هذا من أجل التوصل إلى مقاصد المتحاورين الذين في كثير من الأحيان يستخدمون الحجاج للإقناع و التأثير على الغير.

و قد حاولنا أيضا الاستفادة من تصنيف الدلالات لدى علماء أصول الفقه بقصد توفير تحليل متكامل يسد الثغرات في المنهج المتبع، كدلالة الاقتضاء التي لا نجد لها مرادفا في نظرية غرايس.

و قد ساعدنا هذا التحليل في تتبع القصص القرآني من خلال أقوال المتحاورين لنعرف مثلا أن موسى عليه السلام ترك قومه خلفه ليتعجل لقاء ربّه، و يتخذ قومه العجل إلها في أثناء غيابه، و هذا من خلال الحوار الذي دار بين الله تعالى و نبيه موسى عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ ﴾ (طه: ٨٣ – ٨٤) و بصرف النظر عن ذكر الخبر متفرقا في سور أخرى كقوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، و قوله أيضا: ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١

[33] الطاهر بن عاشور، سابق، ص 332.

﴾ (البقرة: ٥١ )،إلاّ أن تفاصيل الخبر كاملا ذكرت عبر الحوار في سورة "طه" خاصة، ( ذكر بعضها في سورة الأعراف و القصص و الشعراء).

و كشف التحليل عن أغراض المتحاورين و المقاصد التي يرمون إليها ليظهر تلاعب و سخرية فرعون و السامري أو بعبارة أخرى رفضهم التعاون مع موسى عليه السلام. لنفهم أنّ الله تعالى، و هو الأعلم بالنوايا، أهلك فرعون و هامان و جنودهما لعلمه بعدم وجود نية لديهم للإيمان.

و الملاحظ أيضا أن القرآن الكريم وصف فرعون بصفات عديدة و لكنه لم يتكلم قط عن النوايا، فقد وصفه بالعداء في قوله:﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴿٣٩﴾ ﴾ (طه: ٣٩) ، ووصفه بالفسق فقال:﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوْا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القصص: ٣٢ )، و بالظلم في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (القصص: ٤٠)و بالتكذيب و الغفلة في قوله:﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوْا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوْا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣٦)،و وُصف أيضا بالاستكبار في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (القصص: ٣٩)، و ادّعى الألوهية في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾ ﴾ (القصص: ٣٨) و الربوبية في:﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النازعات: ٢٤ )

و الحقيقة أن المقاصد تظهر من خلال أقوال المتكلمين، و ربما هذا سبب من أسباب استعمال الحوار إلى جانب السرد في القرآن الكريم.

و ما لاحظناه أيضا من خلال التحليل هو أن الحوار في سورة "طه" قليلا ما يأتي بنحو مباشر صريح، و ذلك حسب أغراض المتكلمين، فقضايا العقيدة مثلا لا تحتمل

التضمين، لأن الموضوع هام جدا و لا يُترك في يد المتلقي أصاب فهمه أم أخطأ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (طه: ٩٨)

و نجد القول الصريح أيضا في أوامر الله تعالى كقوله: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ طه: ٢٤ و أوامر الأنبياء كقول هارون عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ (طه: ٩٠ )

أما صيغ الاستفهام فكثير منها تحمل استلزاما حواريا معمما كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (طه: ١٧ ) و ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ (طه: ٨٣ )، و الاستلزام الحواري المعمم لا يصعب على المخاطَب كونه كثير الاستعمال و يُفهم بدون الاستعانة بسياق أو مقام المحاورة.

أما ما كان يصدر عن الكافرين فكان كله يخرج عن قواعد الحوار و أحيانا يخرج عن مبدأ التعاون أساسا، كالأقوال التي صدرت عن فرعون و عن السامري و السحرة و مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ (طه: ٦٣ )

و كذلك استعمل موسى عليه السلام التضمين في نقاشه مع فرعون لأجل تبيان كذبه و تعجيزه و ليكشف ذلك للحاضرين كقوله تعالى : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (طه: ٥٠ )

و في الحقيقة ما كان لنا أن نفهم المعاني المستلزمة لولا معرفة سياق الحوار الزماني و المكاني و العلاقة بين المتحاورين اعتمادا على كتب التفاسير و أسباب النزول، الشيء الذي مكننا من المحافظة على قداسة النص القرآني و في الوقت نفسه تطبيق نظرية الاستلزام الحواري على آياته الشريفة التي وردت في شكل حوار من أجل

فهم المعاني الضمنية التي ما كانت لتخفى على أهل التفسير، غير أنه إذا استثنينا شرحهم لبعض مظاهر البيان كالاستعارة مثلا، فإنهم لم يقدموا وصفا لكيفية التوصل إلى هذه المعاني و هو ما فسِّر في ضوء نظرية غرايس استنادا إلى عملية الاستدلال التي تعتمد على قدرة المتلقي في فهم مقصد المتكلم من خلال احترام أو خرق المبادئ التبليغية و التهذيبية و توظيف السياق و المقام و كل الظروف المحيطة بالمحاورة من أجل تحقيق الفهم و استمرار التواصل.

# خاتمة

# خـــاتـــــــمة

بعد هذا العرض الذي أردناه أن يكون مفصلا لنظرية الاستلزام الحواري، نأتي إلى اختتام هذا البحث آملين أن نكون قد أجبنا على التساؤلات التي طرحناها في البداية. و حيث إننا و بعد تطبيق النظرية (الاستلزام الحواري عند غرايس) على الخطاب القرآني، نجد أن المنهج التداولي بمختلف آلياته يسمح جدا بالولوج إلى النص المقدس و مضامينه الشريفة من خلال صريحه و مضمره. ويتبين لنا من خلال تحليلنا للحوار في القرآن الكريم الأثر الذي يحدثه النص في متلقيه؛ فالقرآن الكريم جاء ليؤثر في النفوس، فيغرس فيها الأخلاق الكريمة و العادات الطيبة و لتتغير معاملات الناس فتتحسن العلاقات بينهم و ينتج عنها التعايش الطيب المبني على مبادئ الدين. و يعتبر الخطاب المستلزم أكثر تأثيرا في المستمع كونه يقع في النفس و يُعمِل العقل.

كما يسمح لنا المنهج التداولي أيضا بالولوج إلى النصوص التراثية و إعادة قراءتها قراءة واعية تكشف عن مضامينها الغنية بمختلف القضايا اللغوية المهمة و الاستفادة منها.

و عليه و من خلال البحث و التوغل في قضية الاستلزام الحواري قديما و حديثا، وقفنا على النتائج الآتية:

- إن حاجة البحث اليوم إلى المقاربات الغربية لا تغني أبدا عن حاجتنا القائمة إلى التراث العربي الذي يمثل مرجعية علمية و تاريخية لمعرفتنا الحالية.

- إن اعتبار القرآن الكريم هدفا للدراسة عند القدامى، نتج عنه أن المعطيات التي ينصب عليها الوصف اللغوي ليست جملا مفردة مجردة من مقامات إنجازها، بل هي خطاب متكامل متماسك.

- نظر الدارسون العرب للغة على أنها وسيلة تؤدى بها أغراض معينة، و هذا كان وراء توجيه الدراسات اللغوية خاصة منها البلاغية و الأصولية نحو محاولة لربط العلاقة القائمة بين اللغة ووظيفتها، مما أدى إلى دراسة اللغة دراسة تداولية حسب الاستعمال الفعلي للكلام في مقام معين، إضافة إلى وجود مسائل تمثل اليوم صلب التداولية الحديثة مثل معيار الصدق و الكذب، مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو مخالفته، و دور المقام في إنتاج الأقوال و تأويلها...

- منهجيا كانت الدراسات البلاغية و الأصولية قائمة على رصد العلاقة بين الخطاب و مختلف المقامات التي ينجز فيها أي على أساس "مطابقة المقام لمقتضى الحال".

- يمثل التراث اللغوي العربي نظرية هامة للاتصال، فإذا استطعنا أن نعالج ما فيه من نقائص و نُحكِم منهج البحث فيه، ربما استطعنا أن نضع نظرية عربية في الاستلزام موازية للنظريات الغربية تأخذ كل منها من الأخرى في إطار المثاقفة المتبادلة.

- إن دراسة غرايس للتبادلات الحوارية كشفت عن جانب مهم من التبليغ و هو التواصل غير المباشر، و الذي يستعمله المتحاورون و ينجح التواصل و تتحقق المقاصد، و إن لم يكن غرايس أول من تحدث عن الظاهرة، إلا أن الضوء لم يسلط عليها بالشكل الذي فعله غرايس الذي تعمق في دراسة الاستلزام الحواري و الذي يمثل صفة أساسية لكل اللغات الطبيعية.

- افترض غرايس مبدأ التعاون و الذي يعبر عنده عن اتفاق ضمني بين المتخاطبين الذين يشتركون في هدف أو أهداف المحاورة (إلا إذا كان الحوار مفاجئا)، و لولا مبدأ التعاون لما نجحت حواراتنا و ما حققنا التواصل فيما بيننا، بل أزْيد من ذلك نجد حتى في خرق القواعد تعاونا، و ضمنيا يُفترض أن المتكلم يأخذ بها ما دام الكلام المستلزم واضحا للمخاطَب.

- إن افتراض القواعد ما هو إلا محاولة لضبط ظاهرة الاستلزام الحواري، و وسيلة لشرح كيفية توصل المخاطب للمعاني المستلزمة عن طريق الاستدلال.

- لفت غرايس الانتباه إلى نوع آخر من الاستدلال غير البرهاني و الذي لا يقتصر على المضمون الدلالي و لكن يعتمد على بعض العناصر اللغوية و غير اللغوية و المتمثلة في السياق الحالي و المعارف المشتركة و العلاقة بين المتحاورين، بالإضافة إلى القواعد الخطابية و بعض القواعد التهذيبية و هذا من أجل التوصل إلى مقاصد المتكلمين.

- اهتم غرايس بالحالة الذهنية لدى المتحاورين أثناء عملية التواصل، أي ركز على مقاصد المتكلمين، و اهتم في المقابل على قدرة المتلقين على تأويل الأقوال من أجل التوصل إلى المقاصد ليكون الحكم على عملية التواصل بالنجاح أو بالفشل.

- و مع ما توصل إليه غرايس من نتائج مهمة إلا أن هناك ظواهر لغوية لا تدخل تحت أي من قواعد الحوار الأربعة كظاهرة الاقتضاء التي لم ينتبه إليها غرايس، فهي لا تدخل في إطار خرق قاعدة الكمية الأولى، ذلك أن المتكلم في الاقتضاء يحذف كلمة أو أكثر و تبقى المعلومة كاملة، ممّا يدل على أنه من الصعب التقنين لظاهرة الاستلزام الحواري و ضبطها باعتبار أن الكلام يتغير بتغير السياق و يرتبط بآنية الخطاب، و من ثمَّ فإن مقترحات غرايس على أهميتها تبقى ناقصة غير محيطة بكل جوانب الخطاب و تحتاج إلى دراسة مكمِّلة، و إنا لنجد في التراث العربي ما يفي بهذا.

- إن ما اقترحه غرايس بخصوص مبدأ التعاون و القواعد الأربعة للحوار يركز أساسا على الجانب التبليغي للخطاب و هو غير كاف للوصول إلى فهم المعاني المستلزمة التي غالبا ما تكون ناتجة عن خرق قاعدة من القواعد التي تخص الجانب التهذيبي للخطاب.

- و في الأخير إن ما قام به غرايس فتح آفاقا واسعة للبحث في مجال التداولية و ساعد على تطويرها خاصة في مجال التداولية المعرفية (سبربر و ولسن) و التي لا تُعنى

بالكفاءة اللسانية فقط و لكن أيضا بمعرفة المتكلم لاستعمال اللغة في مختلف السياقات و المعروفة بالكفاءة التواصلية.

- حاولنا في هذا البحث الإلمام بالموضوع و لكن لابد من وجود نقائص نأمل أن تكملها بحوث لاحقة، فقواعد غرايس أصبحت عند الباحثين من بعده (موشلار و روبول) مبادئ و أصبحت الحصافة انسجاما و تداخلت التداولية مع علوم مختلفة أهمها العلوم المعرفية، كلها جديرة بالبحث.

و الحمد لله رب العالمين.

## مسرد لأهم المصطلحات الواردة في البحث:

| ***Français*** | ***Anglais*** | **عربي** |
|---|---|---|
| **Actes de langage directes** | **Direct speech actes** | أفعال اللغة المباشرة |
| **Actes de langage indirectes** | **Indirect speech actes** | أفعال اللغة غير المباشرة |
| **Communication** | **Communication** | تواصل |
| **Communication ostensive-inférentielle** | **Ostensive-inferential communication** | تواصل استدلالي إشاري |
| **Conditions de vérité** | **Truth conditions** | شروط الحقيقة |
| **Connaissance encyclopédique** | **Encyclopedic knowledge** | معرفة موسوعية |
| **Contexte** | **Context** | سياق |
| **Contexte extralinguistique** | **Non-linguistic context** | سياق غير اللغوي |
| **Contexte linguistique** | **Linguistic context** | سياق لغوي |
| **Conversation** | **Conversation** | محاورة |
| **Dialogue** | **Dialogue** | حوار |
| **Discours** | **Discourse** | خطاب |
| **Echanges conversationnels** | **Conversational exchanges** | تبادلات حوارية |
| **Enoncé** | **Utterance** | قول |
| **Enonciation** | **Utterance/ enunciation** | تلفظ |
| **Etat mental** | **Mental state** | حالة ذهنية |
| **explicite** | **explicit** | ظاهر |
| **Exploitation des maximes** | **Exploitation of maxims** | استغلال القواعد |
| **Implicature conventionnelle** | **Conventional implicature** | استلزام تواضعي/ عرفي |
| **Implicature conversationnelle** | **Conversational implicature** | استلزام حواري |

**مسرد لأهم المصطلحات الواردة في البحث:**

| | | |
|---|---|---|
| **Implicature conversationnelle généralisé** | **Generalized conversational implicature** | استلزام حواري معمم |
| **Implicature conversationnelle particulière** | **particularized conversational implicature** | استلزام حواري خاص |
| **Implicature lexicale** | **Lexical implicature** | استلزام معجمي |
| **Implicature non-conventionnelle** | **Non- conventinal implicature** | استلزام غير تواضعي |
| **implicite** | **implicit** | ضمني |
| **Inférence** | **Inference** | استدلال |
| **Inférence non-démonstrative** | **Non- demonstrative infence** | استدلال غير برهاني |
| **Inférence démonstrative** | **Demonstrative inference** | استدلال برهاني |
| **Intention** | **Intention** | قصد |
| **Interaction** | **Interaction** | تفاعل |
| **Interlocuteur** | **Hearer** | مخاطَب |
| **Interprétation** | **interpretation** | تأويل |
| **Langue** | **Language** | لغة |
| **Langue artificielle** | **Artificial language** | لغة اصطناعية |
| **Langue idéale** | **Ideal language** | لغة مثالية |
| **Langue naturelle** | **Natural language** | لغة طبيعية |
| **Locuteur** | **Speaker** | متكلم |
| **logique** | **Logic** | منطق |
| **Maxime de manière** | **Maxim of maner** | قاعدة الطريقة/الكيفية |
| **Maxime de qualité** | **Maxim of quality** | قاعدة الكيف/ النوعية |
| **Maxime de quantité** | **Maxim of quantity** | قاعدة الكم |

**مسرد لأهم المصطلحات الواردة في البحث:**

| | | |
|---|---|---|
| **Maxime de relation /Pertinence** | **Maxim of relation/relevance** | قاعدة العلاقة / المناسبة |
| **Maximes conversationnelles** | **Maxims of conversation** | قواعد حوارية |
| **Maximes morales** | **Moral maxims** | قواعد تهذيبية |
| **pertinence** | **relevance** | ملاءمة/ حصافة |
| **Phrase** | **Sentence** | جملة |
| **Pragmatique** | **Pragmatics** | تداولية |
| **Pragmatique cognitive** | **Cognitive pragmatics** | تداولية معرفية |
| **Pré-connaissance** | **Background knowledge** | معرفة مسبقة |
| **Présupposition** | **Presupposition** | اقتضاء |
| **Principe de coopération** | **Cooperative principle** | مبدأ التعاون |
| **Principe de politesse** | **Politeness principle** | مبدأ التأدب |
| **Processus inférentiel** | **Inference process** | مسار استدلالي |
| **Raisonnement par analogie** | **Raisoning by analogy** | قياس |
| **Référence** | **reference** | إحالة |
| **Respect des maximes** | **observation of maxims** | احترام القواعد |
| **Sciences cognitives** | **Cognitive sciences** | علوم معرفية |
| **Signification** | **Meaning** | معنى/ دلالة |
| **Signification conventionnelle** | **Conventional meaning** | دلالة وضعية |
| **Signification naturelle** | **Natural meaning** | دلالة طبيعية |
| **Signification non- naturelle** | **Non-natural meaning** | دلالة غير طبيعية |
| **Violation / transgression des maximes** | **Violation/ flouting of maxims** | انتهاك/خرق القواعد |

## قائمة المصادر و المراجع:

### 1-باللغة العربية.

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1. ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، الحسين،1418 هـ، ج1.
2. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، لبنان، 2012.
3. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر،1984.
4. البقاعي برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،1995، ج5.
5. التهانوي محمد علي بن علي، كشاف الفنون والعلوم، دار قـــهرمان للنـــــشر والتوزيع، اسطنبول، 1984.
6. التفتازاني سعد الدين، مختصر السعد في شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003.
7. الجابري محمد عابد، فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الأول،مركز دراسات الوحدة العربية،لبنان،ط4،2012.
8. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،1984.
9. الحباشة محمد صابر، تحليل المعنى، مقاربات في علم الدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.

10. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.
11. الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، تقديم هاني الحاج، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر، 2003، ج22.
12. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تعليق خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، 2009.
13. السكاكي أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية لبنان، ط2،1987.
14. الشافعي أحمد محمود، أصول الفقه الاسلامي، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ط1، 2002.
15. العياشي أدراوي، من الاستلزام الحواري إلى التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الامان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011
16. الغزالي أبو حامد محمد، المستصفى من علم الأصول، دراسة و تحقيق حمزة بن زهير حافظ، ج 3.
17. المبخوت شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط2، 2010.
18. المتوكل أحمد، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط2، 2010.
19. الواحدي علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1991.

20. بلانشيه فيليب، التداولية من أستين إلى قوفمان، تر صابر الحباشة و عبد الرزاق الجمايعي،عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2012.

21. بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2003.

22. بوجادي خليفة في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

23. تقية محمد بن أحمد، المختصر الوافي في أصول الفقه، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط1، 2000.

24. دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربيـــــــــة و آدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

25. زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة، الاسكندرية، 1984.

26. سالم محمد عزيز نظمي، المنطق الصوري، دراسة تحليلية لنظرية القياس وفلسفة اللغة، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 2002.

27. صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.

28. صلاح اسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

29. عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1،1989.

30. عبد الرحمان طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

31. عمران قدو، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2012.

32. موشلار جاك، روبول آن، التداولية اليوم، تر سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، المنظمة العربية المترجمة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2003.

33. نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.

34.يونس محمد محمد علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.

**2-باللغة الأجنبية:**

1- Bracops Martine : Introduction à la pragmatique, les théories fondatrices : actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée, Edition université, Bruxelles , 1ere ed, 2006.

2- De Saussure Ferdinand : Cours de linguistique générale, présenté par Dalila Morsly- Enag edition, Alger, 3 ed, 2004.

3- Encyclopedia Universalis.

4- Garric Nathalie et Calas Frédéric : Introduction à la pragmatique, Hachette, Paris, 2007

5- Grice Herbert Paul: Logic and conversation, in Cole peter and Morgan Jerry, 1st ed : speech acts, in Syntax and Semantics.vol 3, New York, Academic press, 1975.

6- Grice Herbert Paul: Sudies in the way of words,Combridge,Massachusettes : Harvard university Press, 4 th , 1995.

7-Moeschler Jacques, Auchlin Antoine, Introduction à la linguistique contemporaine, Armand Colin/HER, Paris, 2eme ed, 2000.

8- Moeschler Jacques, Reboul Anne, Dictionnaire Encyclopédique de pragramatique , Edition du seuil , 1994.

9-Mounin Georges, Dictionnaire de la linguistique, quadrige PUF, 1974.

10- Paveau Marie Anne, Sarfati George Elia : les grandes théories de la linguistique, de la grammaire comparée à la pragmatique, Armand Colin/ V4EF , 2003.

11- Searle J.R.,Indirect speech acts, in Cole peter and Morgan,Jerry1.eds : speech acts, in Syntax and Semantics. vol 3, New York, Academic press, 1975.

12- Standed Enyclopedia of philosophy.

14-Van Dijk, Text and Context, Explorations in the semantics and pragmatics og discourse, LONGMAN, Linguistics Library, London and Newyork, 1977.

15-Wikipedia, Free Encyclopedia

**4-المجلات و الدوريات:**

1-باديس لهويمل، الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي، مقاربات تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد2، 2013.

**5-الرسائل الجامعية:**

1-مفتاح بن عروس ، الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم، إشراف زبير سعدي والحواس مسعودي، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر1،2007-2008.

## فهرس الموضوعات:

مقدمة.....أ
مدخل.....01
**الفصل الأول: الاستلزام الحواري في التراث العربي القديم، البـــلاغة (السكاكي نموذجا) وأصول الفقه (أبو حامد الغزالي نموذجا.**
تمهيد ..... ..... 15
1.المعنى الأصلي والمعنى الفرعي عند أبي يعقوب السكاكي.....18
1.1 .المقام ومقتضى الحال عند السكاكي.....19
2.1. الخبر والطلب عند السكاكي.....22
3.1. الملازمات بين المعاني عند السكاكي.....29
2. الاستلزام الحواري عند علماء أصول الفقه.....34
1.2. طرق الدلالة عند الأصوليين.....36
1.1.2. دلالة عبارة النص.....36
2.1.2. دلالة إشارة النص.....37
3.1.2. دلالة النص (عند الغزالي: فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده).....37
4.1.2. دلالة اقتضاء النص.....38
5.1.2. دلالة المفهوم.....38
2.2. الأمر والنهي عند الإمام الغزالي.....40
1.2.2 صيغ الأمر والنهي عند الغزالي.....41
**الفصل الثاني نظرية غرايس في الحوار.**
تمهيد.....44
1. المفاهيم الجديدة في نظرية غرايس.....45
1.1. مفهوم الدلالة غير الطبيعية.....45

1. 2. تمييزه بين الجملة والقول.....47
3.1. الاستدلال غير البرهاني.....49
2. الاستلزام الحواري ومبادئ الحوار عند غرايس.....52
1.2 مبدأ التعاون و قواعد الحوار الأربعة.....53
2.2 التمثيل الواقعي لقواعد الحوار.....57
3.2 الاستلزام العرفي/ التواضعي.....60
4.2 الاستلزام الحواري/ التخاطبي /غير العرفي.....62
1.4.2 الاستلزام الحواري المعمم.....62
2.4.2 الاستلزام الحواري الخاص.....64
5.2 الفرق بين الاستلزام الحواري والاستلزام العرفي..... .....67
1.5.2 قابلية الإلغاء.....68
2.5.2 قابلية الانفكاك.....69
3.5.2. إمكانية تحديد المعنى.....70
4.5.2. التواضعية.....72
5.5.2 ارتباط الاستلزام بالتلفظ.....72
6.2 كيف يحدث الاستلزام الحواري؟.....74
1.6.2. احترام قواعد الحوار.....75
2.6.2. خرق القواعد الحوارية.....76
1.2.6.2. وجود تعارض بين قاعدتين.....76
2.2.6.2. خرق غير متعمد لإحدى القواعد الحوارية.....76
3.2.6.2. خرق متعمد لقاعدة من قواعد الحوار.....77
3.6.2. استغلال القواعد الحوارية.....79
**3.** حدود قواعد غرايس و القواعد التهذيبية.....87
1.3. مبدأ التهذيب.....87
2.3. مبدأ التواجه.....88

3.3. مبدأ التأدب الأقصى.....89
4.3. مبدأ التصديق و اعتبار الصدق و الإخلاص.....91
5.3. شروط الخطاب الفاعل.....92
1.5.3. شروط النص الاستدلالي.....92
2.5.3. شروط التداول اللغوي.....92
4. بين سيرل و غرايس و مسألة الأفعال اللغوية غير المباشرة و الاستلزام الحواري.....94
5. نظرية الملاءمة /الحصافة لسبربر و ولسن.....97
**الفصل الثالث الاستلزام الحواري في سورة "طه".**
تمهيد.....103
1. بنية سورة طه.....104
2.السياق العام لسورة "طه".....107
3.الاستلزام الحواري في سورة "طه".....109
3 .1. الحوار في قصة سيدنا موسى عليه السلام من البعثة إلى حادثة العجل.....109
1.1.3.حوار موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى.....109
2.1.3. حوار موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون.....119
3.1.3. محادثة بين موسى عليه السلام والسحرة وفرعون يوم المباراة.....125
4.1.3. حوار موسى عليه السلام مع ربه عز وجل بجانب الطور.....129
5.1.3. حوار موسى عليه السلام مع قومه ثم مع هارون عليه السلام ثم مع السامري.....131
3 .1.5.1. حوار موسى عليه السلام مع قومه.....132
3 .2.5.1. حوار موسى عليه السلام مع أخيه هارون.....134

3.5.1.3. حوار موسى عليه السلام مع السامري.....135
3 .2 حوارات عن أحوال يوم القيامة.....137
1.2.3 حوار المجرمين بعضهم لبعض.....137
2.2.3. حوار الكفار مع النبي صلى الله عليه و سلم حول مصـير
الجبال يوم القيامة.....138
3.3 الحوار في قصة سيدنا آدم عليه السلام.....139
خلاصة.....142
**خاتمة**.....146
مسرد لأهم المصطلحات الواردة في البحث..... 150
قائمة المصادر و المراجع.....153
فهرس الموضوعات.....158

**ملخص:**

تناولنا في هذا البحث قضية هامة من قضايا التداولية و هي ظاهرة الاستلزام الحواري في اللغات الطبيعية. و قد اهتم بدراستها الفيلسوف الإنجليزي **بول هربرت غرايس**(Paul Herbert Grice) خاصة في مقاله "**المنطق و المحادثة**"( **Logic and conversation**) سنة 1975، و الذي مثل البداية الحقيقية لدراسة هذه الظاهرة اللغوية. فقد لاحظ غرايس أن المتكلمين في كثير من الأحيان يقولون شيئا و يقصدون غير ما يظهر في كلامهم، و مع ذلك يتمكن المخاطب من فهم مقصود المتكلم، لأن المتحاورين في نظره يلتزمون بمبدأ التعاون، و هو المبدأ العام الذي ينظم تبادلاتنا الحوارية، إضافة إلى أربع قواعد أساسية هي: الكم و الكيف و الكيفية و الملاءمة. أمّا في حالة عدم احترام هذه القواعد، فإن معنى القول يخرج عن المعنى الظاهر في التركيب إلى المعنى المستلزَم، و بخرق المتكلم لواحدة من هذه القواعد يدفع المخاطب إلى القيام بمجموعة من الافتراضات لتفسير هذا الخرق عن طريق الاستدلال باستغلال السياق بأنواعه و مقام المحادثة.

و قبل المضي في البحث، قدمنا بعض التعريفات و حاولنا توضيح بعض الأمور المتعلقة بالحوار و المعنى و الاستدلال و التي شكلت مدار البحث عموما، إضافة إلى أهم الدراسات التي قامت حولها عند العرب و الغرب.

أمّا في الفصل الأول فقد قمنا بعرض الدراسات العربية لظاهرة الاستلزام الحواري في نموذجين من البلاغة و أصول الفقه هما على التوالي: أبي يعقوب السكاكي في قضيتي الخبر و الإنشاء وما يتولد عنها من أغراض فرعية تدرك بمعونة قرينة الحال، و الملازمات بين المعاني في الكناية و المجاز و التشبيه.
و فيما يخصّ أصول الفقه، فقد لفت انتباهنا التقسيمات التي وضعها الأصوليون للدلالة و كذا طرق استنتاج الأحكام الشرعية المتعلقة بالأمر و النهي و ما ينتج عنهما من أغراض فرعية مركزين بشكل خاص على دراسة أبي حامد الغزالي في مستصفاه.

و أما في الفصل الثاني فقد قمنا بقراءة مقال غرايس "المنطق و المحادثة"(1975) محاولين شرح نظريته و تحليلها. عرضنا مباديء الحوار عنده و أنواع الاستلزام و كيفية التفريق بينها، إضافة إلى بيان كيفية حدوث الاستلزام و تلقيه، و ذكر مباديء الحوار التهذيبية التي جاءت مكملة لقواعد غرايس.

و نظرا لتقاطع نظرية غرايس في الاستلزام الحواري مع نظرية جون سيرل في الأفعال اللغوية غير المباشرة، فإننا قمنا بمقارنة بين المقاربتين لمعرفة كيفية تفسير كل منهما للظاهرة و كيفية حدوثها و طريقة كل واحد منهما في الاستدلال على المعنى الضمني للأقوال.

و في الأخير قمنا بعرض مختصر لـ 'نظرية الحصافة' لسبربر و ولسن و التي تعتبر امتداد لنظرية غرايس لتبيين كيفية تأويل الأقوال، و هي عملية متعلقة بشكل كبير بالسياق الذي يبنى قولا بعد قول.

و بما أن القرآن الكريم يحمل في طياته آيات وردت في شكل حوار، فإننا قمنا بتحليلها اعتمادا على نظرية غرايس لفهم معانيها الضمنية و معرفة مدى تأثيرها في تلقي الخطاب القرآني معتمدين في ذلك على كتب التفسير و سياق كل محاورة من أسباب النزول و القصص القرآني، لنكون بهذا قد حاولنا أن نضيف إلى التفاسير القرآنية كيفية الاستدلال على المعاني الضمنية في الحوارات القرآنية، لنخرج في الأخير بأهم ما استخلصناه من البحث من نتائج قد تفتح المجال أمام الدارسين للبحث في هذا المجال.

**الكلمات المفاتيح:** الاستلزام الحواري، الاستدلال، السياق، القصد، مبدأ التعاون، قواعد الحوار، احترام القواعد، خرق القواعد، استغلال القواعد.

**Summary:**

In this research paper we have tackled a very Important issue in pragmatics entitled "conversational implicature", a characteristic to natural languages and which was a subject of interest to the English philosopher Herbert Paul Grice in his article 'Logic and conversation' published in 1975. Grice found that people in their daily conversations say something and mean another one; nevertheless, the hearer manages to determine the target meaning thanks to what is called by Grice 'The cooperative principle' and the four maxims (quantity, quality, manner and relevance) derived from it. However, if the speaker flouts one of these maxims, he pushes the hearer to make a set of premises to justify this flouting in order to find the Implicit meaning through the inference taking into account both the context and the situation of the conversation.

First of all, we wanted to provide some definitions and clarifications cocerning the issues which constitutes the bases of our research such as : conversation, meaning and inference, and the most important Arab and western studies introduced about them .

In the first chapter, we have introduced the ancient Arab studies about the conversational implicature in two samples : of rhetoric and jurisprudence. They are respectively as follows : ElSakaki's study of the declarative and the non declarative sentences (interrogative, exclamative, imperative …) focusing on the indirect meaning conveyed through their structures, in addition to his research about metaphor and simile.

As jurisprudence is concerned, we have mentioned the classifications of meaning and the way the religious rules are deduced. And it is worth mentionning that we have concentrated namely on the studies of El Ghazali in his book 'Mostasfa'.

In the second chapter, we tried to explain and analyse Grice's theory of « conversational implicature », starting with the presentation of the most important notions in his theory : The

cooperative principle and the four maximes of conversation. We have also spoken about the different types of implicature and the main differences between them.We have explained how the conversational implicature occurs i.e either by flouting one of the maxims deleberately or by exploiting the maxims with the observation of the cooperative principle, and thus the success of the communication.In addition, we have tackled the politeness principles which are considered complimentary to the maxims of Grice.

IN this same chapter, we have made comparison between Grice's theory of 'the conversational implicature' and Searle's theory of 'The indirect speech acts' in order to reveal the way they explained the phenomenon and how the hearer manages to understand the target meaning(inference).

At the end of the chapter, we wanted to give an idea about the ' Relevance theory' of Sperber and Wilson to explain the way the hearer interpretes the utterances, and the role of the context which is not given at ones but built gradually during the conversation.

Finally, we tried to analyse the quranic conversations according to Grice's theory to understand their implicit meaning as well as to know its impact on the interpretation of the quranic discourse relying on the books of the explanation of the holly quran(tafsir) to come out at the end to the most important results we have drawn from the research hoping that we have paved the way to other students to search in the same field

**Key words** : conversational implicature, inference,intention, context, cooperative principle, maxims of conversation, observation of maxims, flouting of maxims, exploitation of maxims.